نظرات
فى قضية البعث

بقلم
الدكتور
سيد فرج عبد الحليم
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين - القاهرة

مدخـــل :

فمن المعلوم الذى لا ريب فيه أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدران الأساسيان اللذان تستمد منهما العقيدة الإيمانية الصحيحة .

ولما كانت قضية البعث إحدى أركان الأيمان الغيبية التى لا يستطيع العقل البشرى الوقوف على حقيقتها فإن خير مصدر تستمد منه هذه العقيدة هما الكتاب والسنة لأنها من الأمور السمعية التى يتوقف معرفتها على الوحى المعصوم .

ولا ريب أن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر من القضايا الكبرى فى الدين والعلم والفلسفة ولذلك لا نجد ثمة فلسفة إلا وقد بحثت فى الحياة الأخرى .

كما أن الأديان قد ركزت على الإيمان بالبعث وكيفية الحياة بعد الموت، ومن هنا فقد شغلت هذه القضية أذهان الفلاسفة والباحثين منذ أمد بعيد .

ولما كانت البشرية فى عالمنا المعاصر قد غلب عليها التفكير المادى واستعبدتها المادة وضعف الوازع الدينى فى نفوس بنى الإنسان وأصبحت المذاهب الإلحادية والاتجاهات المادية التى أغرقت كثير من البشر فى ظلمات الماديه وبحـــار الشك والحيرة متفشية بدرجة كبيرة حتى أصبح الكثير من الناس يظن أن البعث أسطورة وخرافه ، وقد بنوا رأيهم هذا على أن الإنسان إذا مات فمحال أن يبعث مرة أخرى بعد الموت معتقدين أن الموت عدم محض وفناء صرف به يفنى الإنسان وتتلاشى أجزاءه ويعود إلى التراب الذى خلق منه وهذا الاعتقاد ليس جديداً وإنما وجدناه

بصورة واضحة فى العصور القديمة فقد ذكر القرآن الكريم اعتقاد هؤلاء وصورة تصويراً واضحاً فى مثل قوله تعالى : « وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بل نرى ونسمع بعض من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا يكفون ليل نهار عن إثارة الشكوك حول قضايا العقيد الإسلامية وعلى الأخص القضايا الغيبية لأنهم لا يؤمنون إلا بما هو مشاهد وملموس وتدركه الحواس الإنسانية أم غير ذلك فلا واصبحوا يرددن نفس الشبهات والأقوال التى قال بها الأقدمون ويظنون أنهم يحسنون صنعا .

وبالرغم مما وصل إليه التقدم العلمى فى شتى الميادين فى هذا العصر من تسخير قوى الطبيعة للإنسان حتى أصبح العالم الآن كأنه قرية صغيرة أو مدينة واحدة ومع ذلك فإننا نجد أن الذين تقدموا فى الحياة المادية بهذه الصورة يتردون فى مجالات القيم والفضائل والأخلاق والدين فهم يزدادون إسرافاً فى الرذائل والموبقات ، وجرأة عجيبة على اقتراف الآثام وافتتانا فى الشهوات الحيوانية ورفض هداية السماء المتمثلة فيما تدعوا إليه الأديان حتى أصبحت بعض الأقلام البشرية تفضل الإباحية المطلقة التى لا يضبطها أى وازع من دين أو ضمير أو أخلاق أو مبادىء أو عقل بل ازدادت البشرية انحدار فأصبحت تعيش عيشة العرى فى ميادين الدنيا علما وحضارة بسبب هذه الأقلام الضالة .

فضلا عما تعانية البشرية من شقاء وحروب ودمار وضياع قيمة الإنسان ونشر الفساد والدعوة إلى التحلل من كل القيم والمبادى وليس هذا فحسب بل محاربة الدين الحق الذى يرتفع بقيمة الإنسان عن عيشه البهيمية والحياة الهمجية الساذجة مما دفع كثير من علماء الغرب ومفكريهم إلى الدعوة للجوء إلى هداية الدين وأنه هو العلاج لأمراض وأسقام

وعلل الحضارة المادية والحق أنه لا علاج لأسقام الحضارة المادية إلا بإتباع هداية الدين الحق القائم على الأيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، والإيمان باليوم الآخر الذى يوفى فيه كل إنسان جزاءه .

ولما كانت قضية البعث إحدى دعائم الصلاح والإصلاح فى حياة الفرد والمجتمع بل من أهم البواعث التى يتوقف عليها إقامة مجتمع فاضل أساسه الوقوف عند احترام حقوق الغير الذى يعد أصلا من أصول الحياة الفاضلة والوقوف عند كل ما تتطلبه الحياة القائمة على العدل والإنصاف أقول لما كانت قضية البعث بهذه الصورة فقد اتسعت فيها دائرة الخلاف بين المثبتين والمنكرين .

حيث أن قضية البعث من القضايا التى أنكرها بعض الأقوام فى الأزمان الماضية يسمون الطبيعيين بناء على اعتقادهم أن النفس تابعة للبدن وذلك فهى تفنى بفنائه ، وأنكرها قوم آخرون فى هذا العصر لأنهم يعتقدون أن هذا أمر مستبعد وهؤلاء وهؤلاء جميعاً قد رد عليهم الكتاب والسنة وفند مزاعمهم وأباطيلهم وذلك بلفت الأنظار إلى ابتداعات القدرة الإلهية وأنه ليس من العدل أن يترك الإنسان سدى .

ومن هنا رأيت أن اكتب فى هذا الموضوع لتوضيح ما أشكل فيه وأنه جدير بالبحث والتمحيص حتى يتضح أمره ويعم نفعه خاصة ونحن نعيش فى عصر سيطرت فيه ظلمات المادة فأنست الإنسان ذكر ربه لعل ذلك يكون حافزا على السلوك السوى وعودة قيمة الإنسان الذى أصبح يقيس كل شىء بميزان المادة فقط ولا يرى فى هذه الحياة إلا المادة وزخارف الحياة ، وأنى لى أن أحيط بموضوع البعث فى هذا البحث الصغير وكيف لى أن أقف على أبعاده ومراميه ولكنها نظرات قضية البعث

داعيا الله تعالى العلى القدير أن يلهمنى الصواب والتوفيق فى هذا البحث ، فقد حاولت فى إيجاز عرض هذا الموضوع فى ضوء الكتاب والسنة وتبيان المذهب الحق الذى أجمع عليه سلف الأمة واعتقده الأئمة والمحققون وجاءت به المصادر الصحيحة للعقيدة الإسلامية وأمن نه كل من عظم الله قلبه ، وطهر أفكاره عن الميل مع الهوى .

وأدعو الله تعالى بما دعاه به رسولنا ﷺ « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » .

﴿ وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

المبحث الأول

تعريف البعث والمعاد

قبل أن نتحدث عن قضية البعث من حيث الإثبات والنفى والاتجاهات الفكرية فيها يحسن بنا أن نقف أولا على معنى الكلمات التى يتقرر استعمالها فى الحديث عن قضية البعث .

أولا : تعريف البعث فى اللغة :

البعث فى اللغة له معان متعددة : قد يراد به إثارة الشىء عن محله وتحريكه بعد سكون ومنه بعث فلان الناقة إذا أثارها من مبركها للسير .

وقد يراد به الإيقاظ ، ومنه قوله تعالى : « ثم بعثناهم »[1] أى أيقظناهم ، وقد يراد به معنى الإحياء قال تعالى : « وأن الساعة آتية لا ريب فيها الله يبعث من فى القبور »[2] والبعث الإحياء من الله تعالى للموتى[3] .

أما فى الاصطلاح :

فهو إحياء الله تعالى الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم

---

(١) سورة الكهف الآية ١٢

(٢) سورة الحج لآية ٧ — انظر مختار الصحاح للرازى ص ٦٥٩ ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٦٣ م .

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٥٢/٢ ط دار المعارف .

الأصلية[١] ، وهى التى من شأنها البقاء من أول العمر إلى أخره ولو قطعت قبل موته بخلاف التى من شأنها ذلك كالظفر[٢] .

هذا مع العلم أن الشرع الحنيف يستعمل للبعث لفظان آخران هما المعاد — والنشور .

أما المعاد : فهو فى اللغة مصدر ميمى من العود وهو كما فى لسان العرب عاد الشىء يعود عودا معادا ، وهو رجوع الشىء إلى ما كان عليه أولا ، قال الجوهرى المعاد : المصير والمرجع والآخرة معاد الخلق[٣] .

وفى الاصطلاح : فهو عبارة عن رجوع أجزاء البدن إلى الوجود بعد الفناء عند القائلين بأن الإعادة بعد عدم محض ، أو رجوع أجزاء البدن إلى الإجتماع بعد التفرق ، وإلى الحياة بعد الموت ورجوع الأرواح للأبدان بعد المفارقة وذلك عند القائلين بأن الإعادة عن تفريق[٤] .

وعند الفلاسفة الإلهيون : فهو عبارة عن رجوع الروح إلى ما كانت عليه من التجرد عن المادة قبل حلولها فى البدن[٥] .

أما النشور : فهو اللغة الرائحة الطيبة ونشر الميت ، فهو ناشر عاش بعد الموت ومنه يوم النشور .

---

(١) شرح المقاصد — للسعد التفتازانى ١٥٢/٢ دار الطباعة الأميرية .
(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجورى ١٩٦ ط صبيح .
(٣) لسان العرب لابن منظور ٣١٥٨/٤
(٤) شرح المواقف ٢٨٩/٢ ط المطبعة العامرية ١٣١١ . ا هـ .
(٥) انظر النجاة لابن سينا « رسالة فى المعاد والرد على الناجية » مخطوط ١٧٥

وأما اصطلاحاً : فهو البعث والحياة ومنه قوله تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور »[١] ، وعلى هذا فالبعث والنشر بمعنى واحد قال ابن الهمام والنشر إحياء الخلق بعد موتهم[٢] .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن البعث والمعاد بمعنى واحد وهو الإحياء بعد الموت وكذلك النشر فكثير ما يأتى بمعنى الميعاد ، ومن هذا يتبين لنا أن الكلمات الثلاث ألفاظ مختلفة لكن مدلولها واحد ، فالبعث والميعاد واليوم الآخر ألفاظ مختلفة ومصدقاتها واحد وهو وجود حياة أخرى بعد فناء الحياة الأولى .

ثانياً : الاتجاهات الفكرية فى البعث إجمالا :

اختلفت الآراء والاتجاهات الفكرية حول مصير الإنسان بعد موته إلى اتجاهات متعددة ، اتفق المحققون من الفلاسفة والملبون على حقيقة الميعاد واختلفوا فى كيفيته ، وفيما يلى بيان ذلك .

أولا : ذهب جمهور المسلمين إلى أنه جسمانى فقط لأن الروح عندهم جسم سار فى البدن سريان النار فى الفحم والماء فى الورد .

ثانياً : وذهب الفلاسفة إلى أنه روحانى فقط لأن البدن ينعدم بصورة وأعراضه فلا يعاد والنفس جوهر مجرد لا سبيل إليه للفناء فيعود إلى عالم المجردات ، بقطع التعلقات .

ثالثاً : وذهب كثير من علماء الإسلام كالإمام الغزالى ، والكعبى ،

---

(١) سورة الملك من الآية ١٥
(٢) المسامرة فى شرح المسايرة ٩٨ ط السعادة .

والحلبي والراغب ، والقاضي ، أبوزيد الدبوسي إلى القول بالميعاد الروحاني والجسماني جميعاً ، ذهاباً إلى أن النفس جوهر مجرد يعود إلى البدن ، وهذا رأى كثير من الصوفية والشيعة والكرامية[1] .

رابعاً : ذهب قدماء الفلاسفة الطبيعيين إلى عدم ثبوت شيء من الميعاد الروحاني والجسماني معاً .

خامساً : التوقف في هذه الأقسام وهو ما ذهب إليه جالينوس فانه قال : لم يتبين لي أن النفس ، هل هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها ، أو جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن الميعاد حينئذ[2] .

ومن هذا يتبين أن الاتجاهات الفكرية في قضية البعث على خمسة أقوال بين قائل بالمعاد الجسماني ، وآخر بالمعاد الروحاني ، وثالث بثبوت المعاد الجسماني والروحاني معاً ، ورابع بعدم ثبوت المعاد أصلا ، وخامس بالتوقف فيه وهذه الآراء ذكرها الرازي[3] ، والتفتازاني[4] ، والجرجاني[5] ، وابن سينا حيث حصر أصناف العالم في أمر المعاد إلى فريقين :

الفريق الأول : وهم الأقل عدداً والأضعف بصيرة : — منكرون له .

(١) مقالات الإسلاميين للإمام الأشعري ١٤/١ ط خاصة بورثة المحقق .
(٢) شرح المواقف ٦٧/٨
(٣) الأربعين في أصول الدين ٢/ ٢٨٧-٢٨٨ ط الكليات الأزهرية .
(٤) المنقذ من الضلال للامام الغزالي ١٤ ط دار الكتب الحديثة .
(٥) شرح المواقف ٢٩٧/٨

الفريق الثاني : فهم السواد الأعظم والأظهرون معرفة وبصيرة — مقرون به .

وبعد ذلك فهم فرق فرقة تجعل المعاد للأبدان وحدها ، وفرقة تجعله للنفوس وحدها ، وفرقة تجعله للنفوس وللابدان معاً[1] ، وفيما يلي تفصيل هذه الاتجاهات :

أولا : القائلون بالمعاد الروحاني فقط :

وهو مذهب الفلاسفة الإلهيين حيث يرون أن النفس بعد انعدام البدن تعود إلى عالم المجردات[2] وهو قول باطل وقد ذهب الغزالي إلى تكفير القائلين به مستنداً في هذا الحكم إلى أن قولهم هذا يتعارض تماماً مع آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة التي تثبت أن البعث للروح والجسد وسوف يأتي مزيداً من الرد على هذا الاتجاه في حديثنا عن البعث للروح والجسد .

يقول الإمام الغزالي مبطلا رأى القائلين بالبعث الروحاني « لا نلتزم أن يعيد الله تعالى عين الأجسام ، بل ضمن أن يرد الأنفس إلى خلق جديد ، كما فعل ذلك ابتداء ، وقد ورد في الخبر أن الله تعالى — ينزل مطراً فيكون ذلك أصلا لخلق الأجسام ، وهو قادر على اختراع مايشاء »[3] .

واستدل الإمام الغزالي على ذلك بآيات من القرآن الكريم تدل على

(١) رسالة أضحوية في أمر المعادن لابن سينا ٣٨ تحقيق د. / سليمان دنيا ط دار الفكر العربي .
(٢) انظر شرح المقاصد ١٥٥/٢
(٣) معراج المساكين ضمن فرائد اللآلي .

بعث الأجساد فيقول ، قال الله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده »[1] وهذا نص فى الاعادة وقال تعالى : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة »[2] وقال تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا »[3] .

ثم استطرد قائلا : وأكثر أى القرآن فى البعث وهو نص على إعادة الأنفس إلى قوالب الأجسام ولا مراء فى ذلك ومن امتنع عنه شك فى صدق الرسول ، أو كفر عمداً[4] ، إذن من شك فى البعث فقد أنكر صدق الرسول ومن ذهب إلى هذا فقد كفر بما أنزل على الرسول ﷺ .

ولما كان إنكار البعث يفيد الشك فى صدق الرسول ﷺ لذلك رأينا الامام الغزالى يكفر الفلاسفة لقولهم أن الأجسام لا تحشر وإنما المثاب أو المعاقب هو الأرواح المجردة وأن العقبات روحية لا جسمية ، ولقد صدقوا فى إثبات الروحية وإنها كائنة أيضاً ولكن كذبوا فى إنكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به[5] .

ثانياً : القائلون بالمعاد الروحانى والجسمانى معا :

فهذا القول لا يختلف كثيرا عن القائلين بأنه جسمانى فقط إلا من حيث أن النفس عندهم جوهرا وفى ذلك يقول صاحب المقاصد ، وأما القول بالنفوس المجردة فلا يرفع أصلا من أصول الدين ، بل ربما يؤيده ، ويبين الطريق إلى إثبات المعاد فى نهاية العقول[6] .

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٩ (٢) سورة يس الآية ٧٩
(٣) سورة نوح الآيات ١٧ ، ١٨
(٤) معراج السالكين تحقيق محمد مصطفى أبو العلا .
(٥) المنقذ من الضلال /١٥
(٦) شرح المقاصد للسعد التفتازانى ٢١١/١٢

ثالثاً : مذهب جمهور المسلمين :

اتفقوا على تحقيقه وأنه جسمانى فقط لأن الروح عندهم باقية وهى جسم سار فى البدن سريان النار فى الفحم والماء فى الورد والباقى لا يتصور فيه إلا الاعادة واختلفوا فى طريقة ثبوته فقال السنة بالسمع ، وقال المعتزلة بالعقل[1] ، وسوف يأتى ذلك فى مبحث إمكان البعث .

وربما قيل ما الفرق بين القائلين بالبعث الجسمانى والقائلين بالبعث الجسمانى والروحانى نقول أن الفرق بين القائلين بالبعث الجسمانى فقط والقائلين بالبعث الجسمانى والروحانى اختلافهم فى بيان حقيقة النفس فمن قال أنها جسم ذهب إلى القول بالبعث الجسمانى فقط ومن قال أنها مجردة ذهب إلى البعث الجسمانى والروحانى معاً وبالتالى فلا خلاف بين المذهبين .

رابعاً : مذهب المنكرين للبعث مطلقاً :

وهم الفلاسفة الطبيعيون الذين لا يعتد بهم فى المسألة ولا فى الفلسفة فيقولون أنه لا معاد للبشر أصلا زعماً منهم أن الانسان هو هذا الهيكل المحسوس بما له من مزاج من القوى والأعراض فإن ذلك يفنى بالموت وزوال الحياة ولا يبقى إلا المواد العنصرية المتفرقة فانه لا إعادة للمعدوم وفى هذا تكذيب للعقل على ما يراه المحققون من أهل الفلسفة ، والشرع على ما يراه المحققون من أهل الملة[2] .

(١) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبار — شرح المقاصد ١٥١/٢ — شرح المواقف .
(٢) شرح المقاصد ١٥٥/٢

ومما سبق يتبين لنا أن المذاهب والآراء التى يعتد بها فى هذه المسألة ثلاثة آراء القائلين بالمعاد الروحانى والجسمانى معاً والقائلين بالمعاد الجسمانى فقط والقائلين بالمعاد الروحانى فقط .

وقد اختلفت آراء هذه المذاهب وتشعبت إلى آراء متعددة أوضحها ابن سينا بقوله :

١ — فالقائلون بالمعاد للأبدان وحدها : هم فرقة من أهل الجدل من العرب :

يقولون : أن البدن وحده هو الحيوان وهو الإنسان بحياة وإنسانية خلقتا فيه ، وهما عرضان ، والموت هو عدمهما فيه أو ضد لهما .

وفى النشأة الثانية : يخلق فى ذلك البدن حياة وإنسانية بعد ما رم وتفتت ويصير ذلك الإنسان بعينه حياً ، ثم اختلفوا بعد ذلك وتشعبوا فرق :

١ — فقائل : أن الناس بعد ذلك فرقتان : بر وفاجر . فالبر مثاب خلودا ، والفاجر معاقب خلوداً .

٢ — وقائل : أن الناس بعد ذلك ثلاث فرق : مؤمن وهو مثاب خلودا ومؤمن فاسق .

فقائل : أنه فى مشيئة الله ، أن شاء يعذبه ، وأن شاء يغفر له ، ولا يخلد عقابه .

وقائل : أنه يعاقب لا محالة ، ولا يخلد عقابه ، وكافر : وهو معاقب خلودا .

وقائل : أنه لا يكون المعاقب ولا المثاب خالداً .

٢ — وأما القائلون بالمعاد للنفس والبدن ... فكلهم يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن ، والموت بمفارقة النفس للبدن فى النشأة الثانية . النفس فى البدن بعينه الذى كانت فيه فجاعل النفس روحانيا غير جسم . وجاعل النفس جسماً الطف من سائر الأجسام . وقائل بأن النفس إذا ردت إلى البدن كان للثاب والمعاقب جميعاً ثواب وعقوبة بحسب البدن والنفس جميعاً فكان للثاب لذاته بدنه من المحسوسات ولذات نفسانيه من السرور مشاهدة الملكوت بعين البصيرة والأمن من العذاب والعدم

وكان للعاقب آلام بدنيه : من الحر والبرد ، ونفسانية : من اللعنة والخزى والخوف واليأس ، وهؤلاء هم المسلمون كافة .

— وقائل : بأن الذات إدراك يكون روحانيا فقط وكذلك الآلام ، وهؤلاء هم النصارى أكثرهم .

ثم الإختلاف فى الخلود واللاخلود قد يوجد فى هؤلاء كما فى الأول .

٣ — وأما القائلون بالمعاد للنفس ، ففرق :

١ — فرقة : مع ذلك ، قائلة بتجسيم النفس .

٢ — وفرقة : تعتقدها جوهرا نورانيا من عالم النور مخالطا للبدن الذى هو الجوهر المظلم من عالم الظلمة ، وهؤلاء هم : المجوس ، والثنوية والمانويه ومن ذهب مذهبهم ، وسعادته : خلاص النور من الظلمة ، وخرقة الأفلاك . وخروجه إلى عالم النور ، وشقاوته بقاء فى العالم المظلم .

٣ — وفرقة : ترى ذلك لها بالفكر فى الأبدان ، وهم أهل التناسخ .

٤ — وفرقة : ترى أن ذلك لها بالإحتباس فى العالم العنصرى والإنقلاب عنه .

٥ — وفرقة : ترى ذلك لها باستكمالها لجوهرها وخلوصها عن تمكن آثار الطبيعة وضد ذلك هم الحمقاء الفاضلون [1] .

تعقيب :

هذه هى الإتجاهات الفكرية فى أمر البعث والجزاء كما عرضها المتكلمون وغيرهم تبين من خلالها :

أن الفلاسفة الإلهيون : قالوا بإعادة الأرواح فقط دون الأجسام لأنهم يرون أنه لا فائدة من الإعادة لأن النفوس هى المكلفة وهى التى تنعم أو تعذب ومعنى العودة عندهم أن تعود النفس إلى التجرد كما كانت قبل تعلقها بالبدن .

والفلاسفة الطبيعيون : أنكروا البعث مطلقاً سواء كان للجسم أم للروح لأن الأجسام إن انعدمت استحالت إعادتها ، وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » .

أما جالينوس : فقد توقف فى أمر البعث وقال لا أرى هل هناك بعث للنفوس أو لا تبعث مطلقاً .

أما المنكرون للبعث مطلقاً فهم فى حقيقة أمرهم منكرون للألوهية مطلقاً أيضاً لأن كلا من الإيمان بالله تعالى والإيمان بالبعث بعد الموت قضيتان متلازمتان فما داموا لا يعترفون بوجود الله تعالى فهم لذلك لا يعترفون بأن هناك يوم للحساب والجزاء .

أما أهل الأديان جميعاً فهم يعتقدون اعتقاداً جازماً على أن هناك بعثاً

(١) رسالة أضحوية فى أمر المعاد لابن سينا ص ٣٨ ، ٤٠ ، تحقيق د/ سليمان دنيا ط دار الفكر العربى

للأجساد والأرواح معاً سواء قالوا بتجرد النفس عن المادة أم قالوا أنها مادة من جنس الجسم .

أما المنكرون لإعادة الأجسام مع اعترافهم بإعادة الروح أى ردها إلى التجرد عن المادة وهى التى تنعم وتعذب أما الأجساد فإنها تنعدم بالموت .

فإن الرد عليهم يأتى مفصلا فى الحديث عن إمكان إعادة المعدوم وجمع المتفرق .

مع العلم بأن التنعم والعذيب عندما يكون للروح والجسد معاً فهو أقوى وأحكم من أن يكون للروح فقط وذلك لأن الإنسان روح وجسد معاً وعندما تستخدم النفس الجسد فى الطاعة أو المعصية . فإن التنعم والتلذذ أو العذاب والآلام فالعدالة تقتضى أن يشتركا كليهما فى تحمل نتيجة ما فعلاه من طاعة ومعصية .

البحث الثانى

الايمان بالبعث فى القرآن الكريم

لا ريب أن قضية الإيمان بالبعث بعد الموت من القضايا التى ترتبط ارتباطا وثيقاً بالإيمان بالله تعالى فهى أصل من أصول الإعتقاد فى جميع الأديان وركن عظيم من أركان الإيمان ، ولذلك عنى القرآن الكريم بقضية البعث عناية كبرى حتى أصبح من الملاحظ فى معظم سور القرآن الكريم قل أن تجد سورة من سوره لا تتحدث عن البعث وتبينه اعظم بيان وتدعوا إلى الإيمان به واعتقاده وذلك بطرق متعددة وأساليب مختلفه ، وذلك يرجع كما قلنا إلى أن الإيمان بهذه العقيدة يعد أصلا من أصول الاعتقادات الإيمانية التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالإيمان بالله تعالى ، وذلك واضح من خلال آيات القرآن العظيم كما فى قوله تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وإتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »(١) .

وقال تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ (٢) سورة المائدة الآية ٩٦

وفى تفسير الإيمان قال رسولنا ﷺ « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره »(١) « أى تصدق بكل ذلك من قلبك .

والمستقرىء لحديث القرآن عن البعث بعد الموت يجد أن توكيده على عقيدة البعث كتوكيده للإيمان بالله تعالى وتوحيده .

والمراد باليوم الآخر هو يوم البعث والجزاء على الأعمال وذلك عندما ينفخ فى الصور قبل يوم القيامة فيصعق من فى السموات والأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه ، أخرى فإذا هم قيام ينظرون .

قال تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون(٢) » حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار .

وذلك عندما يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام بالنفخ فى الصور فينفخ وتبعث الخلائق ويكون الناس كالفراش المبثوث قال تعالى : « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث »(٣) حيث تبعث الخلائق من قبورها وذلك « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة »(٤) وحيث تطوى فيه السماء وترج فيه الأرض .

« فإذ نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٢) سورة الزمر الآيات ٦٨، ٦٩

(٣) سورة القارعة الآية ٣ (٤) سورة النازعات الآيات ٦، ٩، ١٢

على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية »[1] . وقال تعالى : « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا ، كنا فاعلين »[2] حيث تذهب السموات والأرض وما فيهما ، قال تعالى : « إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت »[3] .

وقال تعالى : « إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت وإذا القبور بعثرت »[4] .

أما الأرض فتذهب وتزول « إذ رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا »[5] وأما الشمس والنجوم فتذهب وتتلاشى أيضا ، قال تعالى : « إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت »[6] .

وقال تعالى : « فإذا النجوم طمست »[7]

والجبال أيضا تتلاشى وتزول قال تعالى : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش »[9] ، حيث يقوم الناس لرب العالمين « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة »[9] .

---

(١) سورة الحاقة الآيات ١٤ - ٤٠
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٤٠
(٣) سورة الانشقاق الآيات ١ - ٤
(٢) سورة الانفطار الآيات ١ - ٤
(٥) سورة الواقعة الآيات ٤ - ٦
(٦) سورة التكوير الآيات ١ - ٢
(٧) سورة المرسلات آية ٨ (٨) سورة القارعة آية ٤
(٩) سورة الواقعة الآيات ١ - ٣

وذلك يوم القيامة يوم نزلزل الأرض وتفتت الجبال ، حيث يكون الحساب والجزاء على الأعمال إن خيرا فخير وإشرا فشر فمن كثرت حسناتهم فهم فى الجنة حيث النعيم ، قال جل شأنه « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة »[1] .

ومن كثرت سيئاتهم فهم فى النار خالدين قال تعالى : « وأصحاب الشمال أى الكافرون - ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعثون أوآباؤنا الأولون قل أن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم »[2] .

والمتأمل فى آيات القرآن الكريم يلاحظ أنه يؤكد على عقيدة الإيمان بالبعث فى كثير من الآيات مبينا أنه قد أجمعت الشرائع السماوية على وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت على ألسنة الأنبياء والمرسلين فقد كان جميع الأنبياء والمرسلين يقرون بالبعث ويؤمنون به ويخبرون أقوامهم به ويدعونهم إلى اعتقاده والجزم به وذلك من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فحينما أهبط آدم إلى الأرض قال له الحق سبحانه وتعالى : « اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها وفيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون »[3] .

---

(١) سورة الواقعة الآيات ٢٦ - ٣٢
(٢) سورة الواقعة الآيات ٤١ - ٥٠
(٣) سورة الأعراف الآيات ٢٤ - ٢٥

وعندما قال إبليس اللعين لرب العزة سبحانه وتعالى : «فانظرنى إلى يوم يبعثون (قال له الله تعالى) قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم »[١] .

وأخبر به نوح عليه السلام فقال كما حكى القرآن عنه « والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا »[٢] ، وقال إبراهيم عليه السلام : « ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »[٣] ، وقال « ... والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ، رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين وأجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم »[٤] .

وأما موسى عليه السلام فقال تعالى لما ناجاه : إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى بما تسعى فلا يصدنك عنها من يؤمن بها واتبع هواه فتردى »[٥] ، بل قد أخبر الله تعالى فى قصة البقرة « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون »[٦] .

بل إن مؤمن آل فرعون كان يعلم بالبعث وقال الله تعالى حكاية عنه : « ويا قوم إنى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد »[٧] إلى أن قال « ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى دار القرار »[٨] .

---

(١) سورة الحجر الآيات ٣٦-٣٨ (٢) سورة نوح الآيات ١٧-١٨
(٣) سورة إبراهيم الآية ٤١
(٤) سورة الشعراء الآيات ٨٢ - ٨٥ .
(٥) سورة طه الآيات ١٥-١٦ (٦) سورة البقرة الآية ٧٣
(٧، ٨) سورة غافر الآيات ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٩

بل أمر الله رسوله محمد ﷺ أن يقسم على البعث فقال : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة « قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب »[١] ، وقال تعالى : « ويستنبئونك أحق هو ! قل : إى وربى إنه لحق ، وما أنتم بمعجزين »[٢] ، وقال تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل : بلى وربى لتبعثن ، ثم لتنبئون بما عملتم ، وذلك على الله يسير »[٣] ، وأخبر عن اقترابها فقال : « اقتربت الساعة وانشق القمر »[٤] « اقترب الناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون »[٥] ، إلى أن قال : « إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً »[٦] .

وذم الله المكذبين بالبعث ، فقال : « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها »[٧] ، « ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد »[٨] ، « بل إدراك علمهم فى الآخرة ، بل هم فى شك منها ، بل هم منها عمون »[٩] ، « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ، مأواهم جهنم ، كلما خبت زدناهم سعيراً »[١٠] .

ونخلص من هذا إلى أن جميع الرسل والأنبياء يقرون بالبعث ويؤمنون به والقرآن الكريم ملىء بالآيات التى أقامها المرسلون على إثبات البعث بعد الموت .

---

(١) سورة سبأ الآية ٣ (٢) سورة يونس الآية ٥٢
(٣) سورة التغابن الآية ٧ (٤) سورة القمر الآية
(٥) سورة الأنبياء ١ (٦) سورة المعارج الآيات ٦ - ٧
(٧) سورة الأنعام الآية ٣١ (٨) سورة الشورى الآية ١٨
(٩) سورة النمل الآية ٦٦ (١٠) سورة الإسراء الآية ٩٧

— ومجمل القول كما يقول ابن حزم أنه « اتفق أهل القبلة على تنافر فرقهم على القول بالبعث فى القيامة وعلى تكفير من أنكره

ومعنى هذا القول أن لمكث الناس وتناسلهم فى دار الإبتلاء التى هى الدنيا أمدا يعلمه الله تعالى فإذا انتهى ذلك الأمر مات كل من فى الأرض ثم يحى الله عز وجل كل من مات من خلق الله عز وجل الحيوان إلى انقضاء الأمر المذكور ورد أرواحهم التى كانت بأعيانها وجمعهم فى موقف واحد وحسابهم على جميع أعمالهم ووفاهم جزاؤهم ففريق من الجن والإنس فى الجنة وفريق فى السعير وبهذا جاء القرآن والسنن[1] .

الحكمة من اهتمام القرآن الكريم بيوم البعث :

نلاحظ من خلال ماسبق أن القرآن الكريم قد إهتم اهتماماً كبيراً بيوم البعث والنشور فإذا ما تساءلنا عن سبب هذا الإهتمام أجيب أن هذا الإهتمام يرجع للأسباب التالية :

أولا : عندما بعث ـ ﷺ ـ كان المشركون ينكرون البعث أشد الإنكاد ويعتقدون أنه ليس هناك حياة أخرى غير الحياة الدنيا وانقضاء حياة الإنسان فيها بمرور الزمن ، فلا يصدقوا بالبعث ولا يقولون بالجزاء ويرون أن العالم لايخرب ولا يبيد وإن كان مخلوقاً مبتدعا[2] ، فالذى لاشك فيه أن الأغلبية الساحقة كانت تستغرب البعث على الوجه الذى تقول به رسالات الأنبياء عليهم السلام[3] وحكى القرآن الكريم عنهم قولهم : « وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر »[4] .

(١) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ٤/٧٩ ط دار الفكر العربى .
(٢) طبقات الأمم لصاعد الأندلس ٤٩
(٣) سيرة بن هشام ١/٢٢١ وما بعدها .
(٤) سورة الجاثية الآية ٢٤

وخطأ هؤلاء المنكرون للبعث استبعادهم أحياء الإنسان مرة أخرى بعدما أصبح ترابا باليا والعظام رميما كما أن جمع أجزاء الجسم المتناثرة بعدما تحللت وتفرقت واختلطت أجزائها بجميع عناصر الأرض ، فلم تستطع عقول هؤلاء المنكرين أن تتصور كيف يحى الله العظام وهى رميم ، ولذلك قالوا كما حكى القرآن الكريم : « أإذا ضللنا فى الأرض أننا لفى خلق جديد »[1] .

« وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذ مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد »[2] .

وقال تعالى : « يقولون أننا لمردودون فى الحافرة ، أإذا كنا عظاما نخرة قالوا تلك إذا كرة خاسرة »[3] .

ثانيا : فساد تصور أهل الكتاب لليوم الآخر فقد طرأ على هذه العقيدة عند أهل الكتاب نتيجة التحريف لنصوصهم المقدسة وتأثرهم بالعقيدة الفاسدة بعض التصورات الخاطئة ليوم البعث والنشور ، فالنصارى يعتقدو بيسوع المخلص هو الذى يهدى الناس بنفسه ويخلصهم من كل الخطايا ويفديهم بنفسه ، وعقيدة اليهود فى اليوم الآخر لاتقل خطأ وفساداً عن النصارى .

ثالثا : لم يقتصر إنكار البعث على الأنس فقط بل تعدى ذلك إلى عالم الجن كما أخبر القرآن بذلك قال تعالى عن الجن : « وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً »[4] .

(١) سورة السجدة الآية ١٠ (٢) سورة سبأ ٧
(٣) سورة النازعات الآيات ١٠ ، ١٢
(٤) سورة الجن الآية ٧

رابعا : إن الإيمان بالبعث يجعل لحياتنا غاية سامية وهدفا أعلى ، وهذه الغاية فعل الخيرات وترك المنكرات والتحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل الضـــارة بالأبدان والأديان ، والأعراض والعقول ، والأموال إلى تحقيق معنى الخلافة .

ولابد من تقوية الوازع النفسى الذى يرغب فى الخير ويصد عن الشر ، ولا يقوى الوازع إلا بكثرة التذكير والتفنن فى التصوير ، وضرب الأمثال المتنوعة حتى تعمق جذوره ، ويقوى تأثيره ، ويحقق الغاية منه ، فيرجع المنكر عن إنكاره ويصحح المخطىء خطأه ، ويجدد كل إنسان هدفه الأعلى لايضل الطريق أو تتعثر به الخطأ[1] .

لكل هذا اهتم القرآن الكريم بقضية البعث وقرنها بالإيمان بالله تعالى لأن بعض هؤلاء المنكرين كانوا يجحدون الخالق سبحانه وتعالى ولا يؤمنون به ولا باليوم الآخر .

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية الشيخ سيد سابق ص ٢٦٥

المبحث الثالث

بيان مذهب المثبتين للبعث الجسمانى تفصيلا

أولا : إعادة المعدوم :

اختلفت الآراء حول إعادة المعدوم نفياً وإثباتاً ، فاتفق جمهور المتكلمين على جواز إعادة المعدوم ، والحكماء على امتناعها وأما المعتزلة فذهب غير أبى الحسن البصرى منهم إلى جواز إعادة الجواهر لكنه بناء على بقاء ذواتها فى العدم حتى لو بطلت لاستحالت إعادتها .

واختلف فى الأعراض فقال بعضهم تمتنع إعادتها مطلقا لأن المعاد إنما يعاد بمعنى فيلزم قيام المعنى بالمعنى .

وذهب الأكثرون منهم بامتناع إعادة الأعراض التى لا تبقى كالأصوات والأدوات لإختصاصها عندهم بالأوقات وقسموا الباقية إلى ما يكون مقدورا للعبد وحكموا بأنه لا يجوز إعادتها للعبد ولا للرب وإلى مالا يكون مقدورا للعبد فيجوز إعادتها[1] .

ويفهم من هذا أن الفلاسفة وجمهور الكرامية وأبو الحسن البصرى وبعض المعتزلة يرون أن إعادة المعدوم مستحيلة لأنه لا إعادة للجسم عندهم ويرى الأشاعرة أن إعادة المعدوم بعينه جائزة عقلا ونقلا ، لأن العقل لا يحيل ذلك لأنه متعلق بقدرة الله تعالى على الإعادة .

---

(١) شرح المقاصد ١٥٣/٢ ، وتقريب المرام فى علم الكلام ص ٢٤١

أدلة القائلين بجواز إعادة المعدوم :

استدل القائلون بجواز إعادة المعدوم بأدلة عقلية وسمعية :

أولا : أما الدليل العقلى :

١ — قد استدلوا على جواز إعادة المعدوم بدليل إقناعى ودليل إلزامى :

الدليل الإقناعى : فقد قالوا أن الأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا امتناعه هو الإمكان ، بناء على ما قال الحكماء أن كل ما قرع سمعك من الغرائب فذرة فى بقعة الإمكان مالم يردك عنه قائم البرهان فمن إدعى إعادة المعدوم فعليه الدليل والبرهان .

أما الدليل الإلزامى : فقالوا إن المعاد مثل المبتدأ بل عينه لأن الكلام فى إعادة المعدوم بعينه ويستحيل كون الشىء ممكنا فى وقت ممتنعا فى وقت للقطع بأنه لا أثر للأوقات فيما هو بالذات[1] .

وقد اعترض على هذا الدليل باعتراضين :

الاعتراض الأول : أنهم قالوا أن الوجود الثانى الذى تتم فيه الإعادة أخص من مطلق الوجود ، وكذلك الوجود الأول أخص من مطلق الوجود ، والوجود الثانى مغاير ، للأول فى أنه وجود بعد عدم طرأ على الشىء ، أما الأول فوجود بعد عدم غير طارىء على شىء كان موجود ، فهما إذن متغايران فإذا كان أحدهما ممتنعا فإنه لا يلزم منه امتناع الآخر ، ولا امتناع الوجود المطلق ، لأنه أعم ، ولا يلزم من امتناع الأخص امتناع الأعم .

(١) المصدر السابق ١٥٣/٢ تقريب المرام فى علم الكلام ٢٤١

وأجيب عن هذا الاعتراض : بأن الوجود من حيث هو وجود بغض النظر عن كونه أولا ثانيا أمر واحد لا يختلف بحسب الزمان ، فالوجود الأول والثانى واحد ، وكونه أولا وثانيا أمر إضافى لا يغير من ماهيته شيئاً ، وإلا لجاز إن ينقلب الممكن فى زمان واجبا فى زمان آخر ، وهذا باطل بالاتفاق( ) .

الاعتراض الثانى : فقد قالوا أن الوجود الثانى ممتنع لصفة لازمة للمعدم ، وهى طرأ العدم عليه ، ولما كانت هذه الصفة غير موجودة فى المعدوم أولا فقد وجد بخلاف الثانى[2] .

وأجيب عن هذا : بمنع كون طرأ العدم من الصفات الذاتية ، لأن الصفة الذاتية لا تزول ، وطرأ العدم قد يزول بالوجود الثانى المتنازع فيه.

وأجيب أيضاً : بأنه لو كان طرأ العدم على الموجود يؤدى إلى استحالة وجوده ، لكان طرأ العدم على الموجود يؤدى إلى استحالة وجوده ، لكن طرأ الوجود الأول على المعدوم يؤدى إلى وجوب وجوده مع أنه جائز بالاتفاق[3] .

ومن هذا يتبين لنا أن الأشاعرة ومن وافقهم من المعتزلة فى جواز إعادة المعدم قد استدلوا :—

(١) المصدر السابق ١٥٣/٢ — انظر شرح المواقف ج ٨ ص٢٨٦ وما بعدها ومذكرات التوحيد للشيخ محمود أبو دقيقة ص ٨٨ ، ومذكرة التوحيد للشيخ صالح شرف ص٦٢ وما بعدها .

(٢) انظر شرح المواقف ج ٨ ص ٢٨٩

(٣) انظر شرح المواقف ج ٨ ص ٢٩١

أولا : أنه إذا لم يقم دليل وجوب شيء أو استحالته فهو فى دائرة الإمكان فمن دعى عدم إعادة المعدوم فعليه الدليل .

ثانياً : أنه لو كانت إعادة المعدوم مستحيلة لذاته لما وجد أولا ، لأن ما بالذات لا يتغير ولما كان المعدوم قد وجد أولا فهو دليل على إمكانه فى ذاته .

٢ — أيضاً استدل القائلون بجواز إعادة المعدوم بأن الإعادة أهون من البدء ، لأنه اتصاف المعاد بالوجود الأول قد زاده استعدادا لقبول الوجود ثانيا وإن لم يكن هذا الاستعداد قد زاد .

فمعلوم إنه لا ينقص عما كان عليه قبل وجوده الأول ، وهـذا ما يشير إليه قوله تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه »[1] .

وكون الإعادة أهون ليست راجعة إلى إنها أهون على الله ، فكل المقدورات بالنسبة إلى قدرة الله سواء ، ليس فيها أصعب أو أهون فإنه تعالى يقول للشيء كن فيكون ، فالأهوانية هنا راجعة إلى مقاييس العباد ، أو الأهوانية راجعة إلى الشيء المعاد نفسه لزيادة فى استعداده لقبول الوجود[2] .

٣ — استدل الإمام الرازى على إعادة المعدوم بقوله : وأما الطريق العقلى المثبت للمعاد الجسمانى فهو من وجهين :

الوجه الأول : أنا نرى فى دار الدنيا مطيعا وعاصيا ومحسنا ومسيئاً ونرى أن المطيع يموت من غير ثواب يصل إليه فى الدنيا ، والعاصى

(١) سورة الروم الآية ٢٧

(٢) انظر شرح المواقف ٨/٢٨٩

يموت من غير عقاب يصل إليه فى الدنيا ، وإن لم يكن حشر ونشر يصل فيه الثواب إلى المحسن والعقاب إلى المسئ لكانت هذه الحياة الدنيوية عبثاً بل سفهاً .

واعلم أنه تعالى ذكر هذه الحجة فى آيات من القرآن الكريم فى سورة طه : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى »[1] ، وقال فى سورة ص : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »[2] .

الوجه الثانى : من الدلائل على صحة البعث الجسمانى أن تقول أن الله تعالى خلق الخلق فى هذا العالم إما للراحة واللذة والإنتفاع وإما للتعب والألم والأضرار ، لا جائز أن يقال خلقهم للتعب والألم لأن هذا لا يليق بالمحسن الرحيم الغنى عن الخلق ، ولا جائز أن يقال خلقهم لا للراحة ولا للتعب والألم لأن حال كونهم معدومين فلم يبقى إلا أنه تعالى خلقهم للراحة واللذة والانتفاع .

فهذه الراحة واللذة إما أن تكون فى هذا العالم أو فى عالم آخر . . لا يجوز أن يقال إنها فى هذا العالم لأن الذى يظنه الإنسان لذة فى هذا العالم فهو ليس بلذة بل هو دفع للألم فلذة الأكل مثلا ليست لذة فى الحقيقة بل هى دفع لألم الجوع ولذلك فإن ألذ اللقم هى اللقمة الأولى لأن هناك ألم الجوع أقوى فكل لقمة هى أكثر تأخراً كانت أقل لذة لأن ألم الجوع يكون أقل قوة .

(١) سورة طه آية ١٠ (٢) سورة ص آية ٢٧، ٢٨

وكذلك اللذات الأخرى الحاصلة فى هذا العالم على هذا القياس ، وعلى تقدير أنها موجودة ولكنها قليلة وفى الغالب تكون إما ألم خفى وأما لدفع ألم .

وأمر المنافع فى هذا العالم كأمر اللذة ، لأن منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة فتحمل الآلام الكثيرة والمضار الكثير للحصول على اللذائذ القليلة لا يليق بالحكمة الإلهية والرحمة التى لاحد لها .

ولما بطل هذا القسم أيضاً ثبت أن ذلك المقصود غير حاصل فى هذا العالم فلابد من القطع بوجود عالم آخر بعد هذا العالم وبوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة يحصل فيها هذا المقصود ، وذلك هى دارا لآخرة والنشأة الثانية الجسمانية [1] .

ثانياً : الأدلة السمعية :

أم الدليل السمعى الذى استدل به المثبتون للبعث الجسمانى فيعتمدون فيه على أمرين :

الأول : أنه أمر ممكن الثانى أنه ورد به الخبر من الصادق المعصوم .

أما دليل الإمكان فقد سبق الحديث عنه وأما إخبار الصادق به فقد تواترت عن النبى - ﷺ - أحاديث كثيرة تدل دلالة واضحة على ثبوت البعث الجسمانى ، وفى ذلك يقول الإمام الأصفهانى .

وقد أجمع الملیون على أن الله تعالى يحيى الأبدان بعد موتها وتفرقها

(١) الأربعين فى أصول الدين للرازى ٢ / ٦٤ ، تفسير الرازى ٧ / ١٩٦ .

لأنه ممكن عقلا ، والصادق أخبر به ، فيكون حقاً وذلك لوجهين :

الأول : لأن أجزاء الميت قابلة للجمع والحياة ، وإلا لم تتصف بهما قبل ، والله تعالى عالم بأجزاء كل شخص على التفصيل لما ثبت — أى فى علمه - وقادر على جمعها ، وإيجاد الحياة فيها لشمول قدرته لجميع الممكنات فثبت أن إحياء الأبدان ممكن .

وأما الثانى : فلأنه ثبت بالتواتر أنه - ﷺ - كان يثبت المعاد البدنى ويقول به ، وإليه أشار حيث قال - عز وجل : « قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »[1، 2] .

فالبعث إذن ممكن وقد ورد به الشرع ، وكل ممكن ورد به الشرع فهو حق فالبعث حق .

ثانيا : أدلة المنكرين لإعادة المعدوم والرد عليها :

استدل المنكرون لإعادة المعدوم بأدلة متعددة من أهمها مايأتى :

الأول : أنهم قالوا لو أعيد المعدوم بعينه لزم تخلل العدم بين الشئ ونفسه واللازم باطل بالضرورة .

وأجاب أهل السنة : بالمنع وذلك بحسب وقتين فإن معناه عند التحقيق تخلل العدم بين زمانى وجوده بعينه ، ويضاف ذلك الشئ بل وجوده السابق واللاحق نظرا إلى الوقتين لاينافى اتحاده بالشخص ويكفى لصحة تخلل العدم ، تخلل الوجود بين العدم السابق واللاحق .

وثانياً : أنه على فرض التسليم بأن العدم يوصف بالتخلل ، فلا نسلم

(١) سورة يس الآية ٧٩ (٢) مطالع الأنظار ص ٣٣٠، ٣٣١

بأن العدم تخلل بين الشئ ونفسه ، لأن الثانى مغاير للأول ، ولو باعتبار الزمن ، ولا امتناع فى تخلل العدم بين شيئين متغايرين ولو بالإعتبار ، فى ذلك تخلل الوجود الأول بين العدم السابق عليه والعدم المتأخر عنه (١) .

الثانى : كما استدلوا بقولهم لو جاز إعادة المعدوم بعينه ، أى بجميع مشخصاته لجاز إعادته وقته الأول لأنه من جملتها ضرورة أن الموجود بقيد كونه فى هذا الوقت غير الموجود بقيد كونه فى وقت آخر ، ولأن الوقت أيضاً معدوم يجوز إعادته لعدم التمايز ، أو بطريق الإلزام على من يقول بإعادة الشكل لكن اللازم باطل لإفضائه إلى كون الشئ مبتدءا من حيث أنه معاد ، إذ لامعنى للمبتدأ إلا الموجود فى وقته الأول ، وفى هذا جمع بين المتقابلين حيث صدق على شئ واحد فى زمان واحد من جهة واحدة أنه مبتدأ ومعاد ، لما أشرنا إليه من لزوم كونه مبتدأ من جهة كونه معاداً ، ومنع لكونه معاداً لأنه الموجود فى الوقت الثانى ، وهذا قد وجد فى الوقت الأول ، ورفع للتفرقة والامتياز بين المبتدأ والمعاد حيث لم يكن معادا ألا من حيث كونه مبتدأ ، والامتياز بينهما بحسب العقلى ضرورى .

الجواب : أنا لانسلم كون الوقت من المشخصات ، فإنا قاطعون بأن هذا الكتاب هو بعينه الذى كان بالأمس ، حتى إن من زعم خلاف ذلك نسب إلى السفسطة ، وتغاير الاعتبارات والإضافات لاينافى الوحدة الشخصية بحسب الخارج ، ولو سلم فلا نسلم أن مايوجد فى الوقت الأول يكون مبتدأ البتة ، وإنما يلزم لو لم يكن الوقت أيضاً معاداً أو لم يكن

(١) شرح المواقف ٢٩٢/٨ ، وشرح المقاصد ١٥٤/٢ .

هو مسبوق بحدوث آخر ، وهذا مايقال إن المبتدأ هو الواقع أولا لا الواقع فى الزمان الأول ، والمعاد هو الواقع ثانياً لا الواقع الزمان الثانى .

وبهذا يمكن إن يدفع مايقال ، لو أعيد الزمان بعينه لزم التسلسل لأنه لامغايرة بين المبتدأ والمعاد بالماهية ولا بالموجود ولا بشئ من من العوارض ، وإلالم يكن إعادة له بعينه بل بالقبلية والبعدية ، بأن هذا فى زمان سابق وذلك فى زمان لاحق فيكون للزمان زمان يمكن إعادته بعد العدم ويتسلسل (١) .

ثالثاً : إعادة الأعراض .

اختلف المتكلمون المثبتون لإعادة الأجسام فى إعادة الأعراض التى كانت قائمة بالجسم حال حياته فى الدنيا من الألوان والأصوات والحركات والسكنات إلى ثلاثة أقوال :

الأول : ذهب الأكثرون إلى إن الأعراض تعاد بأشخاصها التى كانت فى الدنيا قائمة بالجسم لافرق فى ذلك بين الأعراض التى يطول بقاء نوعها كالبياض ولا بين غيره كالأصوات ولا ماهو مقدور للعبد كالضرب ولا غيره كالجهل والعلم لأن نسبة الأعراض إلى قدرة الله تعالى كنسبة الأجسام إليها وقد قام الدليل على إعادة الأجسام فكذلك الأعراض (٢) .

(١) شرح المقاصد ١٥٤/٢ — ١٥٥ ، وشرح المواقف ٢٩٢/٨

(٢) انظر شرح المقاصد .

الثانى : وهو ماذهب إليه البعض أنه يمتنع إعادة الأعراض مطلقا لأن المعاد إنما يعاد بمعنى فيلزم قيام المعنى بالمعنى وسبق الجواب عن هذه الأعتراض .

الثالث : أنه يمتنع إعادة الأعراض التى لا تبقى كالأصوات والأدوات لاختصاصها عندهم بالأوقات واليه ذهب أكثر المعتزلة[٢] .

والذى نعتقده أنه الحق هو الرأى الأول وهو أن الله جلت قدرته وعظم شأنه يعيد الأعراض التى كانت قائمة بالجسم للأشخاص كما كانت لتمام القدرة وشمول العلم وعلى هذا فلاخلاف بين أهل السنة أن الله تعالى يعيد الأجسام الدنيوية بأعيانها وأعراضها .

يقول الإمام القرطبى « عند أهل السنة أن تلك الأجسام الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم قال بأوصافها فيعاد الوصف أيضا كما يعاد الجسم واللون[٢] .

قال أبو بكر بن العربى : وذلك جائز فى حكم الله وقدرته وهين عليه جمعه ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر .

قلت - أى - القرطبى فيه أخبار كثيرة فى هذا الباب وقد ذكر الإمام القرطبى أحاديث كثيرة تدل على ماذهب إليه منها مارواه أبو داود عن عبد الله بن عمر أنه قال يارسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزوة فقال : ياعبد الله إن قتلت صابراً محتسباً بعثت صابرا محتسبا ، وإن قتلت مرائيا مكاثرا بعثت مرائياً مكاثراً على أى حال قاتلت أوقتلت يعثك الله تعالى بذلك الحال .

(١) انظر شرح المقاصد (٢) التذكرة للقرطبى ص ٢٠٧

وروى مالك عن أبى هريرة إن النبى - ﷺ - قال : « والذى نفس محمد بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشخب دما اللون لون الدم والعرف عرف المسك » أخر البخارى ومسلم .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول - ﷺ - من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ، ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها دما لايكون له طعام ولاشراب إلا منه » .

وقال أنس : قال النبى - ﷺ - تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين ثائرة الشعر كالحة الوجه وعليها جلباب من لعنة الله ودرع من غضب الله وإحدى يديها مغلولة إلى عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها وهى تنادى ياويلاه وياثبوراه وياحزناه وملك وراءها يقول أمين أمين ثم يكون من بعد ذلك حظها من النار[١] .

ويفهم من الأحاديث وغيرها بطلان قول القائلين أنه لم يرد بإعادة الأعراض والأوصاف خبر ولا حديث .

(١) انظر التذكر فى أحوال ص ٢١١ ، ٢١٢ .

المبحث الرابع

الأدلة القرآنية على البعث

يعتقد أهل الحق جميعاً سلفا وخلفاً أن البعث بعد الموت حق ثابت بدلالة العقل والنقل .

لما كان الإيمان بالبعث بعد الموت من المسائل الغيبية ، والمسائل الغيبية إنما تثبت بالدليل السمعى لأنه لادخل للعقل فى كشف حقيقتها وإدراك كنهها لأنها فوق مستوى العقل البشرى ، والدليل السمعى إنما يستمد من القرآن الكريم والسنة الصحيحة فقد سلك الكتاب المبين فى إثبات البعث بعد الموت مسالك عقلية فى غاية الوضوح والبيان تتناسب وجميع العقول البشرية على اختلاف ضروبها ومسالكها وثقافتها وهى فى غاية الوضوح والسهولة .

فقد عرض القرآن الكريم فى كثير من آياته بأساليب متعددة وطرق مختلفة لقضية البعث بعد الموت أدلة كثيرة وبالتأمل فى هذه الأدلة القرآنية نجد أن عمدة ماعرضه القرآن الكريم من أدلة على البعث يمكن فى الأدلة التالية : —

١ — دليل الخلق والإيجاد .

٢ — دليل الحكمة والغاية .

٣ — دليل العدالة الإلهية ، وفيما يلى نعرض لهذه الأدلة :

أولا : دليل الخلق والإيجاد :

وهذا الدليل يقوم على أصول ثلاثة ذكرها الرازى فى تفسيره بقوله أعلم أن مدار القول بإثبات البعث والقيامة على أصول ثلاثة : —

أحدها : أنه تعالى قادر على كل الممكنات .

وثانيهما : أنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات .

ثالثهما : أن كل ما كان يمكن الحصول فى بعض الأوقات كان يمكن الحصول فى سائر الأوقات .

فإذ ثبت هذه الأصول الثلاثة ، ثبت القول بإمكان البعث والقيامة .(١)

أما استمداد هذا الدليل فيقوم على أساس التأمل فى آيات الله تعالى التى بثها فى الكون وفى الموجودات وفى الأنفس والآفاق التى تدل دلالة قاطعة على كمال قدرة الله تعالى وشمول علمه .

أما صورة هذا الدليل فتكمن فى خلق السموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والإنسان والحيوان والنبات وما أبدعته القدرة الإلهية فى جميع المخلوقات .

وقد ذكر الإمام الرازى أن الدليل على البعث الجسمانى مبنى على هذه المقدمات الثلاثة السابقة لأن الله تعالى إذ كان كذلك فأجزاء البدن وإن صارت ترابا واختلط أجزائها ببعض ، إلا أنه تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات الكلية والجزئية كان عالما بهذه الأجزاء أينما كانت مهما تفرقت وابتعد بعضها عن بعض فالله قادر على جميع الممكنات ولما كان ذلك كذلك قال « وأعلم أنه سبحانه وتعالى كلما ذكر فى القرآن الكريم هذه المسألة بنى تقريرها على هذه المقدمات الثلاثة ، منها قوله فى سورة النمل « أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله »(٢) .

---

(١) انظر تفسير الرازى ٥/ ٤٧٥ (٢) سورة النمل آية ٦٤، ٦٥ .

فقوله تعالى : « أمن يبدأ الخلق ثم يعيده » ، إشارة إلى مقدمتين :

أحدهما : أن دعوة ممكن فى نفسه .

ثانيهما : أنه تعالى قادر على هذا الممكن لأنه لو لم يكن الأمر كذلك لما كان ابتداء ممكنا .

وقوله تعالى : « قل لا يعلم من السموات والأرض الغيب إلا الله » ، إشارة إلى المقدمة الثالثة وهى كونه تعالى عالما بكل المعلومات .

ثم لما قرر هذه المقدمات الثلاث أخبر عن جهالة من نازع فى صحة المعاد الجسمانى بعد الإقرار بتلك الثلاث فقال : « بل إدراك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون » .

والآية الثانية قوله تعالى فى سورة يس : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »[1] فقوله « أنشأها أول مرة » ، إشارة إلى الجواز الذاتى وإشارة أيضا إلى القدرة وقوله : « وهو بكل خلق عليم » إشارة إلى كمال العلم ، وأيضا قوله تعالى : « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم » إشارة إلى الجواز الذاتى والقدرة ثم قال « بلى وهو الخلاق العليم » وهى إعادة لتلك المقدمة مع مقدمة العلم .

والآية الثالثة فى سورة الروم وهى قوله تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى »[2] ، إلى إلى قوله تعالى « الحكيم » فقوله تعالى : « يبدأ الخلق ثم يعيده » ، إشارة إلى الجواز الذاتى وكمال القدرة ، ثم قوله « هو العزيز » إشارة أيضا إلى كمال القدرة « والحكيم » إشارة إلى كمال العلم .

---

(١) سورة يس آية ٧٨ ، ٧٩ (٢) سورة الروم آية ٢٧

ونحن قد شرحنا فى تفسيرنا أن كل آية وردت فى هذه المسألة فهى مشتملة على تقرير هذه المقدمات الثلاث[1] وبعد أن بينا الأصول التى يقوم عليها منهج إثبات البعث نعرض لبعض النماذج التى عرضها القرآن الكريم للاستدلال على قضية البعث فى دليل الخلق والإيجاد : —

أولا : لو تأمل الإنسان فى قدرة الله تعالى لعلم أنه أوجده بلا بداية وأن الله تعالى قد خلقه من العدم والقادر على خلقه من العدم قادر على إعادته مرة أخرى قال تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »[2] ، فهذه الآيات تضمنت أربعة أدلة بأسلوب عقلى فى غاية الوضوح والبيان .

الدليل الأول : هو دليل النشأة الأولى :

وقد أشار إليه البارى سبحانه وتعالى فى قوله : « قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

فقد احتج الله تعالى فى هذه الآية بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على البدء قدر على الإعادة ، وأنه لو كان عاجزا على الثانية لكان على الأولى أعجز وعجز ، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفصيل خلقه اتبع ذلك بقوله « وهو بكل خلق عليم » فهو عليم بتفاصيل الخلق

---

(١) انظر الأربعين فى أصول الدين للرازى ٢ / ٥٦ — ٧٠

(٢) سورة يس الآيات ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

الأول وجزئياته ، ومواده وصورته فكذلك الثانى فإذا كان تام العلم كامل القدرة ، كيف يتعذر عليه أن يحيى العظام وهى رميم [١] .

فهذا استدلال على البعث بقدرة الله تعالى وعلمه فالذى أنشأ هذه العظام أول مرة قادر على إعادتها فى النشأة الأخرى بل هو على الإعادة أقدر بالقياس إلى أفهامنا ثم أن كونه تعالى بكل خلق عليم يفيد أنه تعالى يعلم جميع الأجزاء وما تفرق منها فى سائر الأقطار والأنحاء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة منها ولا من غيرها [٢] .

يقول أبو يعقوب الكندى فى تعليقه على هذه الآية أن جمع المتفرق أسهل من صنعه وإبداعه ، أما عند البارى فواحد لا أشد ولا أضعف ، فإن القوة التى أبدعت ، يمكن أن تنشىء ما ادثرت ، وكونها - أى العظام - بعد أن لم تكن : موجود للحس فضلا عن العقل . فإن السائل الكافر بقدرة الله تعالى مقر أنه بعد أن لم يكن وعظمه لم يكن ، فعظمه كان اضطرار بعد أن لم يكن فإعادته وأحياؤه كذلك أيضا [٣] .

ودليل النشأة الأولى هذا ورد فى آيات أخرى مثل قوله تعالى : « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والأرض » [٤] ، وقال تعالى : « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق وسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » [٥] .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لأبى العز الحنفى ص ٣٤٢ .
(٢) انظر العقيدة فى ضوء الكتاب والسنة ا.د صلاح عبد العليم ص ١٧٠
(٣) رسالة فى كمية كتب أرسطو طاليس للكندى ٧٤ — ٧٦
(٤) سورة الروم آية ٢٧ (٥) سورة القيامة آيات ٣٦ - ٤٠

وقال تعالى : « ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » [١] ، فهذه الآيات تثبت فى وضوح تام الحجة على منكرى البعث بالنشأة الأولى على الثانية .

ثانياً : لما كانت قضية البعث بعد الموت من القضايا التى تصيب العقل البشرى بالحيرة والشك والاستبعاد من حيث جمع الأجزاء بعد تفريقها واختلاط ذراتها بالتراب وتناثر العناصر فيما لا يحصى من الأجساد لذلك استبعدها الكافرون بل وأنكروها بالكلية ، لأنهم قاسوا قدرة الله تعالى على البعث بقدرة الإنسان العاجز وقاسوا علم الله تعالى الشامل المطلق بعلم الإنسان الحادث المحدود والمسبوق بالجهل وعدم المعرفة لذلك أشار القرآن الكريم إلى كمال قدرة الله وشمول علمه على بعث الأجساد وأنها أمر ممكن بل ومتحقق لأن جميع الممكنات لدى قدرته سواء ، والله تعالى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة .

لذلك ربط القرآن الكريم بين البعث وبين قدرة الله تعالى ، فقال تعالى : « يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم منكم من يتوفى منكم من يرد إلى أرذل العمر ليكيلا يعلم بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » . [٢]

---

(١) سورة الواقعة آية ٦٢ (٢) سورة الحج الآيات ٥ : ٧

فهذه الآيات تشتمل على دليلين واضحين ذكرهما البارى سبحانه وتعالى لمن يجادل فى قدرته سبحانه وتعالى بغير علم فى وقوع الحشر والمعاد .

الدليل الأول : فى نفس الإنسان وابتداء خلقه وتطوره فى أطوار سبعة هى : (التراب - النطفة - العلقة - المضغة - الإخراج طفلا - بلوغ سن الرشد - التوفى أو الرد إلى أرذل العمر)[1] .

فمن قدر على خلق الإنسان بهذه الصورة العجيبة وفى هذه الأطوار الدقيقة فهو لأشد وأقدر على إعادته[2] ، كما بدأنا أول خلق نعيده .

فعندما نتأمل فى خلق الإنسان وكيف نشأ من تراب ثم أصبح نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاماً ولحماً إلى أن أصبح إنساناً كاملا ثم مراحل تكون أعضائه وتوزيعها ووظائفها وعملية الهضم والامتصاص والتنفس والاحتراق ودورة الدم فى القلب والعروق والجهاز العصبى وتركيبه والغدد وإفرازاتها وعلاقتها بنمو الجسم ونشاطه وانتظامه ، وفى كل عضو من أعضائه عجائب تحير الألباب ثم ينتهى إلى الموت فالقدرة التى خلقت ونظمت ودبرت وركبت وأبدعت هى قدرة الله تعالى التى تعيد الإنسان مرة أخرى إلى الحياة .

الدليل الثانى : فى قوله تعالى : « وترى الأرض هامدة » ، وهو دليل آخر على قدرة الله تعالى على إحيـــاء الموتى كما يحى الأرض الميتة الهامدة التى لا ينبت فيها شىء فإذا أنزل الله عليها المطر تحركت بالنبات

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان ٣٥١/٦ .
(٢) عقيدتنا ا . د / محمد ربيع ١٥٩/٢ .

وحيت بعد موتها ، وهو دليل حسى يراه الإنسان فى الأرض التى يشاهد تنقلها من حال إلى حال ، فإذا اعتبر العاقل ذلك ثبت عنده أن البعث جائز عقلا فإذا ورد الشرع بوقوعه وجب التصديق به وأنه واقع لامحالة[1] .

وبجمل القول أن الآيات تشير إلى دليلين على ثبوت البعث فى غاية الوضوح والبيان لكل ذى عقل وفكر متضمنين .

أولاها : خلق الإنسان ومراحل تكوينه . ثانيها : والأرض الهامدة التى أنزل الله عليها الماء فدبت فيها الحياة وأنبتت نباتاً حسناً .

فهذه الآيات تلفت الأنظار من خلال هذين الدليلين إلى النتائج الآتية :

(ا) ذلك بأن هو الحق . (ب) وأنه يحى الموتى .
(ج) وأنه على كل شىء قدير .
(د) وأن الساعة آتية لاريب فيها .
(هـ) وأن الله يبعث من فى القبور .

كما ربط القرآن الكريم أيضاً بين البعث وبين شمول علمه جل شأنه ليبين للناس سهولة البعث عليه لإحاطة علمه بالأحياء والأشياء إحاطة تامة قال تعالى : « فقال الكافرون هذا شىء عجيب أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ »[2] .

والمعنى أن الكفار استغربوا قضية البعث واستنكروا الإعادة بعد

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٨/٣ ، وتفسير البحر والمحيط ٣٥١/٦ .
(٢) سورة ق الآيات ٢ - ٤ .

تفرق الأجزاء فى التراب وقالوا أن ذلك وهم وهو فى غاية البعد والإمكان .

وقد رد عليهم الله تعالى : استبعادهم بشمول علمه وبحفظ كل شىء فى كتاب مبين فكيف تستغرب الإعادة حينئذ .

« فإن من عم علمه ولطفه حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد أن يرجعهم أحياء كما كانوا »[1] .

الدليل الثانى : إخراج الضد من الضد :

وهذا الدليل مستفاد من قوله تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون »[2] . فهذه الآية جاءت عقب قوله تعالى : « قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » ، للاستدلال بالقدرة والعلم على البعث بدليل أخروحجه قاهرة وبرهان ظاهر يتضمن جوابا على شبه أخرى يمكن أن يعترض بها على دليل البدء بأن يقول العظام إذ صارت رميما عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لابد أن تكون مادتها حارة رطبة حتى يصح الاستدلال على أمر البعث بالبدء فجاء الجواب بقوله تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون » ، فأخبر سبحانه وتعالى فى هذه الآية بأن إخراج هذا العنصر الذى هو النار وهى فى غاية الحرارة واليبوسة من ضده وهو الشجر الأخضر الممتلىء من الرطوبة والبرودة فهو بذلك يخرج الضد من

---

(١) انظر تفسير أبى السعود ٣/٢١٧ .

(٢) سورة يس ٧٩/٨٠ .

الضد ويخلقه منه والذى يخرج الشىء من ضده وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها قادر على إحياء العظام وهى رميم[1] .

وعلى هذا فلا يظن ظان أن الإنسان إذا مات ، وصارت عظامه رميما يابسا بارداً لا يمكن أن تعود إليه الحرارة والرطوبة مرة أخرى فإن الله أوجد من الشجر الأخضر الرطب البارد ناراً حارة وذلك أن الشجر المعروف بالمرخ والشجر المعروف بالعفار لو أخذ غصن من شجر المرخ الرطب وضرب بغصن من شجر العفار الأخضر الرطب انقدحت النار منهما وهما أخضران كما يعرف ذلك العرب ويشاهدونه .

فمن قدر على إخراج النار من لا نار وإيجاد الحرارة من الرطوبة قادر على إحياء الإنسان[2] .

فهذا دليل محسوس بين فيه الله تعالى أن الله قد خلق النقيض من النقيض ، خلق من الشجر الأخضر الملىء بالماء نار ، مع أنه من المعلوم أن الماء والنار لا يجتمعان فكيف لا يقدر على إحياء الموتى .

ووجه الاستدلال : أن النار صاعدة بالطبع ، والشجرة هابطة . وأيضا النار لطيفة ، والشجرة كثيفة ، والنار نورانية والشجرة ظلمانية والنار حارة يابسة والشجرة باردة رطبة .

فإذ أمسك الله تعالى فى داخل تلك الشجرة تلك الأجزاء النورانية النارية فقد جمع بقدرته بين هذه الأشياء المتنافرة فإذا لم يعجز عن ذلك فكيف يعجز عن تركب الحيوانات وتأليفها[3] .

---

(١) انظر مناهج الأدلة ابن رشد ٢٤٣ ، والعقيدة الطحاوية ٣٤٣ .

(٢) عقيدتنا ا . د / محمد ربيع ٢/١٦١ .

(٣) تفسير الرازى ١/ ٢٣١ .

وبهذا يتضح لنا من خلال هذه الآية أن هناك صلة بين معنى هذه الآية إخراج النار من الشجر الأخضر وبين بعث الإنسان بعد ما يصير عظما رميما كما أن فيها حجة على منكرى البعث .

أما الصلة فظاهرة من أن الآية متصل « موضوعها اتصالا وثيقا بحياة النبات وإنشائه حيا ناميا قويا بعد أن كان بذرة أو نواة لا نماء فيها ولا حياة وتزداد الصلة بأمر البعث والتى تقوم على أن جمع نماء الشجر ومادته وطاقته بعد خروج أول وريقتين خضراوين من البذرة أو النواة ، إنما هو آت من مواد أولية هى نواتج تعفن الشجر بعد موته أو احتراقه أى من مواد تشبه من كل الوجوه ذلك العظم الرميم الذى أستبعد المنكر الجاحد أن يحيه الله تعالى مرة أخرى بل أن ذلك المنكر الجاحد لم يشر إلا إلى جزء من نواتج التعفن ، تعفن الإنسان أو الحيوان ألا وهو العظم الرميم ، فى حين أن هناك نواتج أخرى للتعفن غير العظم مثل ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء جهلها ذلك المنكر فلم تخطر له على بال .

هذا وقد أشارت الآية الكريمة إشارة واضحة يفهمها العالمون إلى ظاهرة تشبه ظاهرة البعث تمام البعث لأنها بالفعل ظاهرة بعث للنبات بعد أن صار بالتعفن أو الاحتراق بخار ماء وثانى أكسيد الكربون ورمادا أو أملاحا هى فى الحقيقة التى تقابل العظم الرميم الذى ذكره الجاحد .

فكأن الآية تقول لذلك المنكر أن الذى يبعث الشجرة بعد أن فنيت ويخلقها مرة أخرى بواسطة المادة الخضراء من نواتج تعفنها أو احتراقها قادر على أن يبعث الإنسان بعد موته ويخلقه مرة أخرى من نواتج تعفنه وتحويله إلى عظم رميم وغير عظم رميم إلا أنه لما يكن مأمونا على العقل حين نزلت الآية التصريح بهذه المعانى اكتفى فى الآية بإيداعها مفاتيح إلى

هذه المعانى لينفتح بها الإنسان إذا اتسع علمه ، إلا وهى وصف الشجر بالخضر عن جعله أصلا للنار من السياق[1] .

الدليل الثالث : خلق السموات والأرض :

وهو الإستدلال بالقدرة الإلهية على خلق العوالم على إمكان إعادة الإنسان بعد موته وفنائه وهذا الدليل مأخوذ من قوله تعالى « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم »[2] ، فأخبر تعالى أن الذى أبدع السموات والأرض على حالتها وعظم شأنها وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر أن يحى عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى .

« وتقريره ان إحياء الإنسان بعد الموت أيسر على الله تعالى من خلق السموات والأرض وخلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن وهى قضية عقليه »[3] .

فعندما يتأمل الإنسان فى قدرة الله تعالى فانه يرى أن خلق السموات والأرض وما فيهما من نظام دقيق محكم ، وعجز الإنسان عن أن يدرك ما فيهما وما يحدث فى الكون من تعاقب الليل والنهار بميقات محكم ونظام دقيق .. أعظم بكثير من خلق الإنسان .

---

(١) الإسلام فى عصر العلم ا. / محمد العمروى ٤١٨ ، ٤١٩ نشر دار الكتب الحديثة

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لأبى العز الحنفى ٣٤٣

(٣) سورة يس ٨١

والأصل فى هذا الدليل أن الله تعالى يخبرنا أن الذى أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحى عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى .

فأساس الإستدلال إذن هو مقياس إمكان وجود الأقل والأصغر على خروج الأعظم والأكبر للوجود ، المستدل به وهو وجود السموات والأرض يلزمه ضرورة إمكان وجود المستدل عليه وهو خلق الإنسان أو إحيائه بعد الموت إذ كل عاقل يعلم بداهة أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فالذى أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على إحياء العظام وهى رميم وإعادة الإنسان بالنشأة الأولى ليلقى الجزاء على عمله ثواباً وعقاباً[1] .

وكم فى القرآن الكريم من مثل هذا الاستدلال والاحتجاج قال تعالى « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[2] ، قال تعالى : « أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير »[3] .

وقال تعالى: « وقالوا أذا كنا عظاماً ورفاتاً أنا لمبعوثون خلقاً جديداً، أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً »[4] .

---

(١) انظر تفسير الرازى ٢٣١/١ ، ١٨٩/٧ مناهج الأدلة ٢٣٤

(٢) سورة غافر الآية ٥٧ (٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣

وقال تعالى : « أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم »[1] .

لذلك حثنا القرآن الكريم على النظر فى خلق السموات والأرض وما فيهما من إبداع يملك على الإنسان جميع حواسه وما فيهما من عجائب وتدبير للإستدلال بخلق السموات والأرض على أن القدرة التى أبدعت قادرة على الإعادة إلى الحياة مرة أخرى قال تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون »[2] .

الدليل الرابع :

جاء فى قوله تعالى : « إنما أمره إذ أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »[3] . فالآية تقرر أنه ليس هناك شىء مستحيل على قدرة الله سبحانه وتعالى ، فالخلق والفعل مهما عظم المخلوق لايحتاج من جانب الله تعالى المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان خلافا لفعل البشر إذن فليس هناك استبعاد للبعث الجسمانى بعد النظر فى هذه الأدلة التى لاينكرها إلا مكابر[4] .

فكل أمر يريده الله سبحانه وتعالى ، لايحتاج فى إيجاده إلى زمن

---

(١) سورة النازعات الآيات ٢٦ - ٣٣

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٥

(٣) سورة يس آية ٨٢

(٤) قصة التوفيق بين الدين والفلسفة ص ٩٩

والأصل فى هذا الدليل أن الله تعالى يخبرنا أن الذى أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يحى عظاما قد صارت رميما فيردها إلى حالتها الأولى .

فأساس الإستدلال إذن هو مقياس إمكان وجود الأقل والأصغر على خروج الأعظم والأكبر للوجود ، المستدل به وهو وجود السموات والأرض يلزمه ضرورة إمكان وجود المستدل عليه وهو خلق الإنسان أو إحيائه بعد الموت إذ كل عاقل يعلم بداهة أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فالذى أبدع السموات والأرض على حالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على إحياء العظام وهى رميم وإعادة الإنسان بالنشأة الأولى ليلقى الجزاء على عمله ثواباً وعقاباً[1] .

وكم فى القرآن الكريم من مثل هذا الاستدلال والاحتجاج قال تعالى « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[2] ، قال تعالى : « أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير »[3] .

وقال تعالى: « وقالوا أذا كنا عظاماً ورفاتاً أنا لمبعوثون خلقاً جديداً، أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً »[4] .

---

(١) انظر تفسير الرازى ٢٣١/١ ، ١٨٩/٧ مناهج الأدلة ٢٣٤

(٢) سورة غافر الآية ٥٧ (٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣

وقال تعالى : « أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم »[1] .

لذلك حثنا القرآن الكريم على النظر فى خلق السموات والأرض وما فيهما من إبداع يملك على الإنسان جميع حواسه وما فيهما من عجائب وتدبير للإستدلال بخلق السموات والأرض على أن القدرة التى أبدعت قادرة على الإعادة إلى الحياة مرة أخرى قال تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون »[2] .

الدليل الرابع :

جاء فى قوله تعالى : « إنما أمره إذ أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »[3] . فالآية تقرر أنه ليس هناك شىء مستحيل على قدرة الله سبحانه وتعالى ، فالخلق والفعل مهما عظم المخلوق لايحتاج من جانب الله تعالى المبدع لا إلى مادة ولا إلى زمان خلافا لفعل البشر إذن فليس هناك استبعاد للبعث الجسمانى بعد النظر فى هذه الأدلة التى لاينكرها إلا مكابر[4] .

فكل أمر يريده الله سبحانه وتعالى ، لايحتاج فى إيجاده إلى زمن

---

(١) سورة النازعات الآيات ٢٦ - ٣٣

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٥

(٣) سورة يس آية ٨٢

(٤) قصة التوفيق بين الدين والفلسفة ص ٩٩

ولا مكان ولا مادة ، إنه يوجده فى لمح البصر أو هو أقرب ، إن كل ما يريده الله تعالى عظم ، عظمة السموات والأرض أو صغر صغر الذرة فإنما يقول له كن فيكون وذكر الكندى فى تعليقه على هذه الآية بقوله .

ثم قال الله تعالى : لما فى قلوب الكافرين من الإنكار لخلق السموات والأرض لما ظنوا من مدة زمان خلقها قياسا على أفعال البشر إذ كان عندهم عمل الأعظم يحتاج إلى مدة أطول — أنه جل ثناؤه لايحتاج إلى مدة لإبداعه لأنه جعل هو من (لا هو) فمن بلغت قدرته على أن يعمل أجراما من أجرام فليس يحتاج إلى أن يعمل فى زمان لأنه قادر على أن يعمل من لاطينه — طينه إنما أمره إذ أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، أى إنما يريد فيكون مع إرادته ما أراد ، إذ ليس منها مخاض[1] .

وبعد هذا العرض لدليل الخلق والإيجاد التى اشتملت عليها تلك الآيات من سورة يس فليس هناك استبعاد للبعث بعد الموت يقول الإمام ابن كثير فى تفسير الآيات السابقة :

يقول تعالى مخبرا منبها على قدرته العظيمة فى خلق السموات السبع ، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت ، والأراضين السبع ، وما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ، ومرشداً إلى الإستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة ، كقوله : « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس »[2] .

---

(١) رسالة فى كيفيته كتب أرسطو طاليس الكندى ٣٧٤ - ٣٧٦

(٢) سورة غافر آية :

وقال عز وجل : « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم »[1] « أى مثل البشر ، فيعيدهم كما بدأهم — قاله ابن جرير .

وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى ؟ بلى إنه على كل شىء قدير »[2] .

وقوله تعالى : « بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون »[3] ، أى : إنما يأمر بالشىء أمراً واحداً ، لايحتاج إلى تكرار وتأكيد إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن ، قوله : (فيكون) ، أى يوجد دون ما تراخ .

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن نمير ، حدثنا موسى بن المثيب عن شمر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى ذر رضى الله عنه قال : إن رسول الله — ﷺ — قال : « أن الله تعالى يقول : يا عبادى كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت ، إنى جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء ، عطائى كلام ، وعذابى كلام ، إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن فيكون » .

وقوله تعالى : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون »[4] ، أى وتقديس وتبرئه من السوء للحى القيوم الذى بيده

---

(١) سورة يس آية : ٨١

(٢) سورة الأحقاف آية : ٣٣

(٣) سورة يس آية : ٨٤ . ٨٥

(٤) سورة يس آية ٨٦

مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله وله الخلق والأمر، وإليه ترجع العباد يوم المعاد، فيجازى كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل.

ومعنى قوله سبحانه وتعالى: «فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء»، كقوله عز وجل: «قل من بيده ملكوت كل شىء»[١]، وبقوله تعالى: «تبارك الذى بيده الملك»[٢]، فالملك والملكوت واحد فى المعنى، كرحمة ورحموت، ورهبه ورهبوت، وجبر وجبروت.

ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الأجساد. والملكوت هو عالم الأرواح، والصحيح الأول، هو الذى عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم[٣].

ثانياً: دليل الحكمة والغاية:

لقد بين القرآن الكريم الحكمة الإلهية على وجوب البعث ومجازاة الإنسان فى الحياة الأخرى تحقيقا لحكمة الخلق فى كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: «أيحسب الإنسان أن يترك سدى»[٤] «ووجه الإستدلال به على وقوع البعث والجزاء أن الله تعالى: «خلق الإنسان من نطفة، ثم نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم نسق سمعه وبصره وركب فيه الحواس، والقوى، والعظام، والمنافع، والأعصاب، والرباطات التى هى أشده وأحكم خلقه غاية الإحكام وأخرجه على هذا

[١] سورة المؤمنون آية ٨٨
[٢] تفسير ابن كثير.
[٣] سورة الملك آية ١
[٤] سورة القيامة الآية ٣٦

الشكل والصورة التى هى أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائة مرة أخرى أم كيف تقتضى حكمته وعنايته به أن يترك سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته[١].

فما خلق الله هذا الإنسان وسخر له كل ما فى هذا الكون وجعله خليفته فى أرضه، فسخر له السموات والأرض والطير والحيوان وما ذلك إلا لحكمته عليا وغاية سامية، لأجلها خلق الإنسان وهى الخلافة عن الله فى أرضه والأمانة التى أنفرد بحملها الإنسان أعنى عبادة الله تعالى وحده وتعمير الكون وأن يشيع الأمن والاستقرار فى الحياة. قال تعالى: «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوماً جهولا»[٢].

فلم يخلق الإنسان سدى ولم يكلف بهذه الأمانة عبثا إنما خلق الله تعالى الكون والإنسان لحكمة وغاية وهذا يستلزم وجوب البعث الذى يحقق حكمة الخلق ومعنى الوجود، لأنها غاية جزاء ومصير الخلائق يصون وجودهم من العبث واللعب وتحفظ مصيرهم عن البطلان والضياع وتجعله حقا خالصا وحكمة تامة. قال تعالى: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقنهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين»[٣]. وقال تعالى: «وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية»[٤]، وقال

[١] شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٤٣
[٢] سورة الأحزاب
[٣] سورة الدخان الآيات ٣٨، ٤٠
[٤] سورة الحجر الآية ٥٨

تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »[١].

ففى هذه الآيات السابقة ينفى القرآن الكريم العبث واللعب عن خلق السموات والأرض وما بينهما وتنزه الله سبحانه وتعالى عن العبث تنزيها كاملا ، وتربط ذلك بالحقيقة المطلقة الثابتة الخاصة وما ذلك إلا بتقدير الله تعالى أن هناك يوما يفصل فيه بين الخلائق أجمعين حيث يتحقق حكمة الخلق ومعنى الوجود .

فالله سبحانه وتعالى الذى خلق السموات والأرض بالحق والإنسان لعبادته وحمله أمانة التكاليف الشرعية فلابد أن يبعثه ليحاسبه على هذه الأمانة فيكافىء المطيع بالجنة ويجازى العاصى بالنار ، لأن الله تعالى لم يخلق الإنسان عبثا بل خلقه لحكمة سامية وهى عبادته وخلافته فى الأرض بإقامة عدل الله فيها وأنكم سترجعون إليه بعد الموت فيسألكم ويحاسبكم على ما قدمتم فى هذه الحياة الدنيا[٢].

فليس من الحكمة أن يكلف الإنسان ويطالب بفعل بعض الأشياء وترك بعض الأشياء ثم يترك بدون حساب ولا مجازاة مع العلم بأن بعض الأفراد قد قهر نفسه ومنعها عن الشهوات والبعض الآخر أعطاها حظها مما تشتهيه وطاوعها فيما استحسنه من ظلم الغير وهتك عرضه ونهب

---

[١] سورة ص الآيات ٢٧ ، ٢٨

[٢] قضية التوفيق بين الدين والفلسفة ا د / محيى الدين الصافى ص ٩٤ .

أمواله بل من العبث تركه مع هذا الحال بدون أن يكون له حياة أخرى ينال فيها جزاء ما فعل فى هذه الحياة الدنيا خيراً وشر والله تعالى منزه عن العبث فلا يليق أن يهمل ذلك الإنسان بدون بعث وإعادة[١] .

فالمتأمل فى أرجاء هذا الكون يتساءل هل من المنطق والعقل أن يكون الكون كله أرضه وسماؤه وقمره وكل ما فيه مسخر لمصلحة الإنسان ومنفعته ثم تظل تلك المخلوقات مدى الدهر وتكون أطول عمراً من الإنسان وهو أعلى منها قدراً وأعز منها شاناً بلا هدف ولا معنى ويستوى فى النهاية الطائع والعاصى ، الظالم والمظلوم ، وهل من المنطق إن ينتهى الإنسان بلا بعث وإعادة لفصل القضاء بين يدى الله الواحد القهار أم أن العقل السليم والمنطق المستقيم يأبى هذا ويعتقد اعتقاداً جازما برجعة الإنسان ليوم البعث والنشور تحقيقاً للعدالة الإلهية والغاية السامية التى خلق من أجلها الإنسان .

ثالثاً : دليل العدالة الإلهية :

لاشك أن الفطرة المستقيمة والعقل السليم لتأبى أن يستوى المصلح والمفسد ، والمحسن والمسىء ، وأن يموت المصلح فلا يجزى بصلاحه والمفسد فلا ينال عقابه فإن لم يكن هناك حياة أخرى فى دار أخرى غير الدار الدنيا يجازا فيها الإنسان على على ما قدمت يداه فإنه سيتساوى الظالم الذى لم يقتص منه والمظلوم الذى لم يأخذ حقه والمطيع والعاصى الذى لم يأخذ حقه على طاعته أو عصيانه فلولا البعث لكانت الدنيا لغوا وعبثا لاطائل من ورائها ولا هدف وهذا ما يأباه العقل ويرفضه المنطق ولا يتفق مع عدل الله تعالى وحكمته .

---

(١) انظر مذكرة التوحيد الشيخ محمود أبو دقيقة ص ٢١١

وهما ما أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من آياته . قال تعالى : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »[١] .

يقول الإمام الألوسى عند تفسيره لهذه الآية : « إن المعنى تقرير البعث وتحقيقه بإنكار التسوية بين الفريقين أى بأن نجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى الأرض التى جعلت مهادا لهم كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء ولاستواء الفريقين بالتمتع فى الحياة الدنيا بل أكثر الكفرة أوفر حظا فيها من كثير من المؤمنين لكن ذلك الجعل مخالف للحكمة فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الأولين إلى أعلى عليين ورد الآخرين إلى أسفل سافلين »[٢] .

وقال تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون »[٣] .

وهذا ما تشهد به الفطر السليمة والعقول المستنيرة فمن قبل قال : عبد المطلب جد النبى — ﷺ — لن يخرج من الدنيا ظلوم أى ظالم — حتى ينتقم الله تعالى منه إلى أن هلك رجل ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فقيل له فى ذلك ففكر ثم قال : والله إن وراء هذه الدار دار أخرى يجزى فيها المحسن على إحسانه والمسىء يعاقب على إساءته[٤] .

---

(١) سورة ص الآيات ٢٧ ، ٢٨

(٢) انظر تفسير الألوسى ٢١/٤

(٣) سورة الجاثية الآية ٢١

(٤) فقه العلم والعلماء لابن الجوزى البغدادى ص ٦١

ويقول الإمام ابن كثير فى تفسيره للآية التى ذكرناها من سورة [ص] .

« يخبر الله تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا »[١] أى الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً وإنما يعتقدون هذه الدار فقط . .

ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار »[٢] أى لا نفعل ذلك ولا يستوى عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لابد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد من حكمه الحكيم العليم العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا وإن لم يقع هذا فى هذه الدار فتعين أن هناك دار أخرى لهذا الجزاء والمواساة[٣] .

فضلا عن أن الإنسان لا يحيا فى هذه الدنيا على وتيرة واحدة بل كثيراً ما يصاب الإنسان فى هذه الحياة الدنيا بالأمراض والأسقام

(١ ، ٢) سورة ص ٢٧ — ٢٨

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٣٣/٣٢/٤ ط دار الفكر العربى .

والبلايا والمصائب وذلك من هم وغم وخوف وحزن وجوع وفقر وخوف وقلق وتعاسه وتعب إلى أن يقضى نحبه ويدركه الموت ، فالسعادة فى هذه الدنيا مشوبة بالكدر .

فهل من المعقول أن تكون نهاية الإنسان إلى هذه الحالة أم إن العقل والمنطق والفطر السليمة تقرر وتوقن بحياة أخرى فى دار أخرى يصل الإنسان فيها إلى غايته وما يليق به فينعم الأبرار ويعذب الفجار فلو لم توجد القيامة لتعطل استيفاء حقوق المظلومين من الظالمين ، وتعطل توفية الثواب على المطيعين وتوفية العقاب على الكافرين ولذلك يمنع من القول بأنه تعالى : « وما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق »[1] .

وقال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون »[2] هكذا يخاطبنا الله تعالى فى كتابه فمن يشاهد هذه القوانين المحكمة الرصينة فى عالم الوجود وعالم الذرة ، وعالم الجماد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان فى الفيزياء والكيمياء والفلك ، وفى عالم الإحياء والمتجردات يقضع بأن الذى رتبها ونظمها لا يلهو ولا يلعب وهو القائل : « لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين »[3] .

وقال تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين

---

(١) تفسير الرازى ١٨٩/٧ (٢) سورة المؤمنون — ١١٥٠

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٧

ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثر لا يعلمون »[1] ، وإذا تتبع الإنسان المساوئ الأخلاقية للنفس البشرية من حسد وبغضاء وحقد وغيبة وظلم وبغى وبطش بغير حق ثم ما يراه من ضيق وظلم وقسوة وجفاء وبهتان وغيرها .

وما يشاهد من تشاجر وتطاحن لأمور مادية سخيفة وما يشاهد من ظلم واغتصاب للحقوق بين الناس وما يشاهد من حروب لا تبقى ولا تزر يقطع بأن الله الذى خلق هذا العالم المادى من سماء وأرض وما خلق فيه من جماد وحيوان وما أودع فيه من كمال ما بعده كمال يقطع بإذن الله الذى أكمل كل شىء من مخلوقاته سوف يجعل لهذا الانسان عالم آخر[2] وحياة أخرى بعد الحياة الأولى الفانية عالم الخلود والسرور فيه « ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون »[3] .

عالم آخر لا تشاجر فيه ولا عدوان ولا موبقات عالماً تتحقق فيه العدالة الالهية وتطمئن النفوس بعد هذه الحياة القلقة المضطربة ؟

وبهذا يتضح لنا أن العدالة الالهية من لوازم حكمته جل شأنه حتى أصبح من الواضح أن « كل ما يدل على ربوبيته تعالى وحكمته وعدله يدل على البعث والجزاء لأنه من لوازمها »[4] وذلك لأن دليل الحكمة والعدالة متلازمان .

---

(١) سورة الدخان الآية ٣٨—٣٩

(٢) انظر عقائد الأمامية الأثنى عشرية السيد إبراهيم الموسوى ص ٢١٤ ، ٢١٥

(٣) سورة الزخرف آية ١٧

(٤) انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٢١٤/١٢

تعقيب :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن القرآن الكريم قد اهتم بقضية البعث بعد الموت اهتماماً كبيراً وذلك لأنه من أكثر القضايا العقدية جدلا وخلافا عند الكثير من المتشككين والمرتابين والملحدين وذوى القلوب المريضة لذلك فصل القرآن هذه القضية تفصيلا وأوضح القول فيها بحيث لا يدع لمرتاب شبهه على امكان البعث ووقوعه إذ كل من هذه الأدلة القرآنية السابقة تدل دلالة قاطعة على البعث الجسمانى ووقوع الجزاء للإنسان جسماً وروحاً فى الدار الآخرة تحقيقاً لحكمة الخالق سبحانه وتعالى فى خلقه فقد قال تعالى: «وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لا عبين»[1]، حيث ذكر الإمام الألوسى فى تفسيره لهذه الآية قوله «الحق عندى أن البعث لكونه نقصاً مستحيلا فى حقه تعالى فتركه واجب عنه سبحانه وتعالى ونحن وإن لم نقل بالوجوب عليه تعالى لكنا قائلين بالوجوب عنه، وهذا لا يعنى نقد ما تقدم من أن الإيمان باليوم الآخر متوقف على الإيمان بالله وصدق الرسول ﷺ لأن ما يقع فى هذا اليوم من التفاصيل كصفة الحساب، والميزان والصراط والجنة والنار وما فيها من أنواع الجزاء ثواباً وعقاباً إنما مرجعه الدليل السمعى فالذى يثبته العقل هو وجوب البعث والجزاء فى حياة أخرى، أما صفة هذه الحياة وكيفيتها وتفاصيلها فرده إلى الكتاب والسنة»[2].

(١) تفسير الألوسى
(٢) سورة الدخان آية ٣٨

البعث واقع فعلا :

تحدثنا فيما سبق عن الاستدلال العقلى والنقلى على إمكان البعث وبعد ذلك نقول هل البعث واقع فعلا على اعتبار أن كل ممكن ليس بالضرورة وقوعه لا محالة فكثير من الممكنات لا تقع لعلم الله تعالى بعدم وقوعها.

والإجابة على هذا التساؤل تكفل الحق سبحانه وتعالى بتقريرها فى كتابه الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد أخبر الحق سبحانه وتعالى فى الكثير من آياته بأن البعث واقع فعلا فى مثل قوله تعالى: «فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة»[1]، وقال تعالى: «أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه»[2]، وقال تعالى: «إنا نحن نحيى ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير»[3] وقال تعالى: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى»[4]، وقال جل شأنه: «ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور»[5]، فهذه الآيات لا تحتمل التأويل لأنها فى غاية الظهور والوضوح فى الدلالة على وقوع البعث وليس فى العقل ما يدعو إلى حملها عن ظاهرها.

[1] سورة الاسراء آية ٥١
[2] سورة القيامة آية ٣، ٤
[3] « ق آية ٤٤
[4] « طه آية ٥٥
[5] « الحج آية ٦

وعندما نتأمل فى أرجاء الوجود نجد أن الانسان يشاهد كل يوم البعث حقيقة واقعـــة فى كل وقت وحين نرى مثلا الأرض يابسة لا زرع فيها ولا نبات فإذا ما سقت بالماء نبتت أشجاراً ونباتاً حتى إذ ما أتم لها النضج والازدهار حصدها الحاصدون ثم تعود الأرض مرة أخرى جرداء لا حياة فيها والانسان كذلك الأمر فقد خلقه الله تعالى من ماء مهين خرج من صلب الرجال إلى أرحام النساء ثم إلى الحياة حيث الحركة والحياة فهو نبات إنشائه القدرة الالهية .

قال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور »[١] ، وقال تعالى : « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شىء قدير »[٢] ، وقال جل شأنه « فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون »[٣] .

وقال تعالى : « وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها المادة اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شىء قدير »[٤] .

فهذا دليل آخر على البعث يضربه الله تعالى مما يشاهده النـــاس كل يوم .

يقول الله تعالى : إنكم تشاهدون الأرض وهى خالية من النبات فتكون هامدة أى كالميتة فإذا أنزلنا عليها المطر بعد إلقائكم البذور فيها

---

[١] سورة فاطر الآية ٩ [٢] سورة الروم الآية ٥٠
[٣] « الأعراف الآية ٥٧ [٤] « الحج الآيات ٥، ٦

اهتزت أى تحركت وتشققت ليخرج نبات البذور ثم يكبر فيصير نباتاً أخضر حسناً ذا حياة لأنه ينمو شيئاً فشيئاً والنمو حياة إلى أن يخرج الثمرة فإذا كنتم تشاهدون هذا بحواسكم وتستدلون بعقولكم على خالق هذا النبات ومحييه وهو الله تعالى فاعلموا أن الله تعالى يحي الموتى من القبور مثل إحياء النبات من الأرض الهامدة تماما فلا محل للشك فى أمر البعث لأن الله تعالى قربه إلى أذهانكم بمثال محسوس[١] .

---

[١] انظر قضية التوفيق بين الدين والفلسفة أ. د. / محى الدين الصافى ص ٩٤

المبحث الخامس

بيان الآراء حول كيفية إعادة الجسم إلى الحياة

أولا : الإعادة تكون عن عدم أم عن تفريق :

مما سبق تبين أن المتكلمين قد اتفقوا على أن البعث الجسمانى حق إلا أنهم اختلفوا فى كيفيه إعادة الجسم مرة أخرى هل تكون بعد العدم المحض أم جمع بعد تفرق الأجزاء، إلى اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول :

وأصحابه يرون أن البعث يكون بعد العدم المحض وهذا ما ذهب إليه كثير من المعتزلة والأشاعره وقال الآمدى : هذا هو الصحيح وعليه الأكثرون .

الاتجاه الثانى :

وأصحابه يرون أن البعث عبارة عن جمع أجزاء البدن المتفرقة وإعادة أعراضها إليها والتأليف بينها كما كانت وهذا ماذهب إليه بقية المعتزلة وبعض الأشاعره كالإمام الرازى، حيث قال : أعلم أنا بينا بالأدلة العقلية

أن كل ما سوى الله تعالى فإنه يصح العدم عليه لكن ليس كل ما صح وقع(١) (٢) .

الاتجاه الثالث :

هو التوقف فى هذه المسالة وإليه ذهب كثير من المتكلمين كالإمام الجوينى والسعد التفتازانى والايجى وغيرهم ويقول السعد التفتاوانى والحق التوقف وهو اختيار إمام الحرمين حيث قال : يجوز عقلا أن تعدم الجواهر ثم تعادوأن تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثم تعاد بنيانها ولم يدل قاطع سمعى على تعين أحدهما فلا يبعد أن تتغير أجسام العباد إلى صفة أجسام التراب ثم يعاد تركيبها إلى ماعهد، ولانحيل أن يعدم منها ثم يعاد تركيبها(٣) .

وممن ذهب إلى هذا الرأى الايجى حيث يقول ، هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها أم يفرقها ويعد فيها التأليف ؟ الحق أنه لم يثبت ذلك ولا جزم فيها نفيا أو إثباتا لعدم الدليل(٤) .

وإلى هذا الرأى ذهب الإمام الغزالى حيث يقول :

فإن قيل : ما تقولون تنعدم الجواهر والأعراض ثم يعادون جميعا، أو تعدم الأعراض دون الجواهر وإنما تعاد الأعراض .

---

(١) الأربعين للرازى ٢/٥٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية

(٢) انظر شرح مطالع الأنوار ص ٢١٧

(٣) شرح المقاصد ٢/١٥٩

(٤) المواقف فى علم الكلام للايجى ٣٧٣

قلنا كل ذلك ممكن والحق انه ليس فى الشرع دليل قاطع على تعين أحد هذه الممكنات[1] .

أدلة القائلين إن البعث عن عدم :

استدل أصحاب هذا الاتجاه بالنصوص القرآنية التى تثبت أن البعث يكون بعد العدم مثل قوله تعالى « هو الأول والآخر »[2] .

فإن ظاهر الآية يدل على أنه الأول فى الوجود ولا يتصور ذلك إلا بانعدام ما سواه ، وليس بعد القيامة وفاقا فيكون قبلها « والآخر » ولا يكون أخرا إلا إذ عدمت الخلائق جميعا بعد النفخة الأولى .

أجاب أصحاب الاتجاه الثانى القائلين إن الإعادة عن تفويق بأنه يجوز أن يكون المعنى : هو مبدأ كل موجود وغاية كل مقصود ، أو هو الأول فى صفات الكمال ، وهو الأول والآخر بالنسبة إلى كل حى ، بمعنى أنه يبقى بعد موت جميع الأحياء ، وبالجملة فليس المراد انه آخر كل شىء بحسب الزمان للاتفاق على أبدية الجنة ومن فيها .

واستدلوا بقوله تعالى : « كل شىء هالك إلا وجهه »[3] فإن المراد به الانعدام ، لا الخروج عن كونه منتفعا به لأن الشىء بعد التفرق يبقى دليلا على الصانع ، وذلك من أعظم المنافع .

أجاب النافون للبعث عن عدم بأن المعنى أنه هالك فى حد ذاته لكونه ممكنا لا يستحق الوجود إلا بالنظر إلى العلة ، أو المراد بالهلاك

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ١٠٤ ط مصطفى الحلبى للطبعة الأخيرة

(٢) سورة الحديد الآية ٣ (٣) سورة القصص الآية ٨٨

الموت ، أو الخروج عن الانتفاع المقصود به اللائق بحاله كما يقال : هلك الطعام إذا لم يبق صالحا للأكل وإن صلح لمنفعة أخرى ، كما فى قوله تعالى « إن امرؤ هلك » قيل : معناه : كل عمل لم يقصد به وجه الله تعالى فهو هالك أى غير مثاب عليه .

واستدلو أيضا بقوله تعالى : « كل من عليها فان[1] » والفناء هو العدم .

وأجيب عن ذلك بالمنع بل هو خروج الشىء من الصفة التى ينتفع به عندها كما يقال : فنى زاد القوم وفنى الطعام والشراب ، ولذا يستعمل فى الموت مثل أفناهم الحرب ، وقيل : معنى الآية : كل من على وجه الأرض من الأحياء فهو ميت ، وعلى هذا فإن معنى هالك ، وفان بمعنى « ميت » كما استعمله القرآن الكريم « إن امرؤ هلك »[2] بمعنى مات .

أدلة الاتجاه الثانى القائل بأن الإعادة عن تفريق :

استدل أصحاب هذا الاتجاه بآيات من القرآن الكريم على كون الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق كقوله تعالى : « وإذ قال إبراهيم رب ارنى كيف تحيي الموت[3] » وكقوله : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحى هذه الله بعد موتها » — إلى قوله — : « وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما »[4] وكقوله تعالى : « كذلك النشور »[5] ، « وكذلك تخرجون »[6] ، « كما بدأكم

---

(١) سورة الرحمن الآية ٨٨ .

(٢) شرح المقاصد ٢ / ١٥٨ ومابعدها ، وشرح المواقف ٨/ ٢٢٠ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٣ (٤) سورة البقرة الآية ٢٦٢

(٥) سورة فاطر الآية ٩ (٦) سورة الروم الآية ١٩

تعودون »[1] ، بعد ما ذكر بدء الخلق من الطين وعلى وجه نرى ونشاهد مثل « أو يروا كيف يبدىء الله الخلق »[2] ، « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدء الخلق »[3] ، وكقوله تعالى : « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش »[4] ، إلى غير ذلك من الآيات المشعرة بالتفريق دون الإعدام .

ورد القائلون بأن الإعادة عن عدم بحصر على ذلك أنها لا تنفى الانعدام وإن لم تدل عليه ، وإنما سيقت لكيفية الإحياء بعد الموت والجمع بعد التفريق لأن السؤال وقع عن ذلك ، ولأنه اظهر فى بادىء النظر والشواهد عليه كثير هى معارضة بالآيات المشعرة بالإعدام والفناء .

وهذا الخلاف ليس على إطلاقه وإنما هو مقيد بمن هم مستثنون من هذا الخلاف [5] .

ومعنى هذا « أن محل القولين السابقين فيمن لم يرد فيه نص أنه لا يبلى ، أما من ورد فيه ذلك فلا يفنى اتفاقا كالأنبياء فإن الأرض لا تأكل أجسامهم ، والشهداء ، وكالمؤمنين احتسابا وكحامل القرآن وكمن لم يعمل خطيئة قط وكالعلماء العاملين وكالروح وعجب الذنب والجنة والنار وأهلها وكالعرش والكرسى واللوح والقلم .

والحق أنه لا يمكن الجزم فى هذه المسألة بأحد القولين لتعارض الظواهر فيها ، إلا إن القول الذى يجب التعويل عليه بأن الإعادة عن تفريق فهو أولى بالقبول لأن الانسان إذ كان قد خلق من العدم فهو الآن

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٩ (٢) سورة العنكبوت الآية ١٩
(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٠ (٤) سورة القارعة الآية ٣ ، ٤
(٥) شرح المقاصد للسعد ٢ / ١٥٩

ليس عدماً وإنما عندما يموت لا يتحول إلى عدم وإنما تتحلل عناصره المختلفة إلى مادته الأولى .

يقول الأستاذ الشيخ محمد بخيت فى كتابه القول المفيد فقد تبين من الإستكشاف الحديث أن المواد البسيطة لا تتلاش بالكلية ولا تزيد ولا تنقص فى الطبيعة وإنما هى على الدوام فى تحليل وتركيب وإن تلاش الأشياء بحسب ما يظهر لنا لا يدل على تلاشيها فى الواقع ونفس الآخر ألا ترى أن السكر يذوب فى الماء فيظهر لنا أنه تلاش ولكن العقل يجزم بأنه ما تلاش وإنما تفرقت أجزائه بحيث يمكن جمعها مرة أخرى كما تحقق ذلك بالعمليات الكيماوية فإعدام العالم ليس إلا عبارة عن تحليله وتفريقه بحيث يكون كالسكر فى الماء أو التراب فى الهواء وإعادته ليست إلا عبارة عن جمع أجزائه مرة أخرى بحيث تجمع الأجزاء الأصلية لكل جسم وتصاغ بصيغة باقية لا تقبل الفناء وتصور بصورة تناسب العالم الأخروى الذى هو من عالم الملكوت وعالم الأرواح والملائكة وهذا هو الذى تؤيده الأحاديث [2] .

وهذا القول أولى بالقبول فلا يرد عليه من المتشككين ما يرد وعلى القول بأن الجسم بنعدم ثم يعاد .

لذلك نرى أن مذهب القائلين أن الإعادة عن تفريق أسلم لأنه يقع فى دائرة الإمكان والله تعالى قادر على كل الممكنات ، فمشكلة إعادة المعدوم بعينه بعد الاعتراف بوجود الله تعالى وقدرته على خلق الخلائق

---

(١) انظر الأربعين فى أصول الدين للرازى ص ٢٨٥
(٢) انظر القول المفيد للشيخ محمد نجيب — مذكرة التوحيد محمود أبو دقيقة ص ٣٢

فى الدنيا والآخرة ، أى المشكلة القديمة المتولدة من دعوى إمكان أن يكون المخلوق ثانياً عين المخلوق أولا الذى هو صاحب العمل الصالح أو العمل السيء ، فأقوى أدلة المدعين لعدم هذا الإمكان : أن المعاد لو كان عين المبتدأ لزم تقدم الشيء ، اعنى المبتدأ على نفسه ، اعنى المعاد ، ذلك المتقدم المحال هو مرجع بطلان الدور .

فإذا قيل لهم اعتراضاً على دليلهم هذا أن الإنسان فى العشرين من عمره مقدم على نفسه فى الأربعين ، بل إن مثل هذا التقدم يحصل له بين أمسه ويومه ، أجابوا بأن هذا لا يضر لعدم تخلل العدم بين المقدم والمؤخر كما تخلل بين المبتدأ والمعاد .

والحق عندى : أن المانع من الإعادة إن كان لزوم تقدم الشيء على نفسه فهو واقع فى رجل واحد بالنسبة إلى ذواتيه فى حياته الدنيا ، ولا تسلم (ذلك) يكون تخلل العدم بين المقدم والمؤخر وعدم تخاله فارقاً مؤثراً فى الجواز وعدم الجواز ، لأنه إذا كان معنى عدم الجواز دخول العدم بين الشيء ونفسه أنه لا يجوز أن يكون الشيء موجوداً ثم معدوماً ، ثم موجوداً فى أزمنة مختلفه ، فما المعنى من ذلك ؟ وهل الله قادر أن يخلق مرة ثانية أحداً من اللذين خلقهم ثم أرداهم ؟ ومن أين يجب أن يكون ما يخلقه فى المرة الثانية خلقاً آخر غير الأولين ؟ .

ومن أين يلزم فيما خلق ثم عدم ثم خلق ثانيا ؟ أن يبقى فى حالة عدمه شيء منه ليكون « خلقه اتصال » بين وجودية فإنه لا يمكن خلقه بعينه من دون ذلك ؟ حتى أنهم تصوروا إمكان إعادة المعدوم فى مذهب المعتزلة فقط (القائلين بين هويات المعدومات الممكنة متمايزة ثابتة فى العدم ثبوتاً منفكا عن الوجود الخارجى) لو لا أن ذلك المذهب باطل

ولكن لماذا يحتاج خالقه ثانية إلى بقاء مثل هذه الوسائط ؟ لأن لا يخطىء عند الإعادة فيخلق خلقاً آخر على ظن أنه عين المخلوق الأول ؟ .

فهل لا يكفيه (تعالى) لئلا يخطىء فى الخلق ، بقاء المخلوق الأول بعد عدمه فى علمه تعالى ومنشأ المشكلة وهم أتعجب من تعلقه فى أذهان الناس وفيهم أعاظم العقلاء مثل الشيخ الرئيس ابن سينا وكثير من محققى المتكلمين المتأخرين وكلهم لا يستنكفون عن الاعتراف بوجود الله وسعة قدرته [١] .

مما سبق يتبين لنا أن الحق هو ماذهب إليه أهل السنة والذى عبر عنه السعد بقوله : إن مما يجب شرعاً أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بعد إحيائهم بجميع أجزائهم الأصلية وهى التى شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ، ويعيد الأرواح إليهم ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم إذ هذا كله حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف صالح الأمة مع كونه من الممكنات التى أخبر الشارع وكل ما هو كذلك فهو ثابت ولإخبار عنه مطابق .

أما الإمكان فلأن الكلام فيما عدم بعد الوجود أو تفرق بعد الاجتماع ومات بعد الحياة وهذه إمارات الإمكان أما أخبار الشارع عنه : فلما تواتر أنباء من الأخبار به وقد ورد فى القرآن من الآيات الدالة عليه ما يقارب فى الكثرة آيات الأحكام وأكثرها لا يحتمل التأويل مثل : « قال من يحيى العظام وهى رميم [٢] ، ومثل « فإذا هم من الأجداث

---

(١) انظر مواقف العلم من رب العالمين وعباده المرسلين — للشيخ مصطفى صبرى ٤/ ٢١١ ، ١١٢ ط عيسى الحلبى .

(٢) سورة يس الآية ٧٨ .

إلى ربهم يلسلون »[١]، « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول »[٢] « أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه »[٣]، « يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير »[٤]، « كما بدأ كم تعودون »[٥] .... الخ .

وأما الأحاديث فقد بلغت جملتها مبلغ متواتر المعنوى ولا شك أن الحشر صار من ضروريات الدين فإنكاره كفر بيقين ، وأنت خبير بأن تأويل النصوص وإخراجها عن ظاهرها لغير ضرورة إلحاد فى الدين وميل عن سبيل المؤمنين [٦] .

---

(١) سورة يس الآية ٥١ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٥١ .
(٣) سورة القيامة الآية ٣ ، ٤
(٤) سورة [ق] الآية ٤٤ .
(٥) سورة الأعراف الآية ٢٩ .
(٦) شرح المقصد ٢/١٥٦ - ١٥٧

المبحث السادس

مذهب القائلين بالبعث الجسمانى والروحانى معاً

سبق أن ذكرنا أنه ذهب أكثر المحققين من العلماء والمتكلمين كالحليمى والغزالى ، والراغب ، الأصفهانى ، وأبى زيد الدبوسى وكثيراً الصوفية والكرامية إلى أن البعث يكون للروح والجسد معاً .

لأنهم أرادوا بذلك كما يقول الإمام الرازى الجمع بين الحكمة والشريعة ، فقال دل العقل على أن سعادة الأرواح فى معرفة الله تعالى محبته ، وعلى أن سعادة الأجساد فى الأجساد فى إدراك المحسوسات .

وقالوا : لأن الاستقراء دل على أن الجمع بين هاتين السعادتين فى الحياة الدنيوية غير ممكن ، وذلك لأن الإنسان حال كونه مستغرقاً فى تجلى أنوار عالم الغيب ، لا يمكنه الالتفات إلى شىء من اللذات الجسمانية وحال كونه مشغولا باستيفاء اللذات الجسمانية لا يمكنه الالتفات إلى اللذات الروحانية لكن هذا الجمع إنما يتعذر لأجل أن أرواح البشر فى هذا العالم ، فإذا مات واستمدت هذه الأرواح من عالم القدس والطهارة قويت وكملت ، فإذا أعيدت إلى الأبدان مرة أخرى لم يبعد أن تصير هناك قوة قادرة على الجمع بين الأمرين ، ولا شك أن هذه الحالة هى الغاية القصوى فى مراتب السعادات وهذا المعنى لم يقم على إمتناعه برهان عقلى وهو الجمع بين الحكمة النبوية والقوانين الفلسفية فوجب المصير إليه .

وأما معرفة تفصيل هذه الأحوال فهى لاسبيل إليها فى هذا العالم[١] .

ويؤكد هذا المعنى الشيرازى بقوله : « الحق أن المعاد فى المعاد هو بعينه بدن الإنسان الأول للشخص الذى مات بعينه لامثله ، بحيث لورآه أحد يقول : إنه فلان بعينه الذى كان فى الدنيا » ومن أنكر هذا فقد أنكر الشريعة ، ومن أنكر الشريعة كافر عقلا وشرعاً[٢] .

ثم استطرد قائلا أن الأجسام بعد تفرقها بالعدم قابلة للصفات التى كانت قائمة بها حال كونها حية عاقلة ، لأنها لو لم تكن قابلة لها فى كل وقت من الأوقات — أى وقت الإعادة كما فى وقت النشأة والبدء — لما كانت قابلة لهذه الصفات فى شىء من الأوقات لأن هذه الصفات أمور ذاتية لا تزول عنها ، وما دامت الأجسام قابلة لهذه الصفات التى كانت عليها من قبل العدم من الالتئام ، والتجمع والحس والحركة والاغتذاء والنمو فإن إعادتها يكون فى ذاته أمراً ممكناً لا مستحيلا ، وأما من قال إن بدن المعاد غير البدن الأول بحسب الشخص فقد استدل بقوله تعالى : « أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم[٣] .

فإن قيل لهم يلزم على ذلك أن يكون المثاب والمعاقب غير من عمل الطاعة وارتكب المعصية ، قالوا : العبرة فى ذلك بالنفس تحل فى مثل

---

(١) انظر الأربعين فى أصول الدين للرازى ٢ / ٧١ - ٧٢ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) المبدأ والمعاد للشيرازى ص ٢٧٤ .

(٣) سورة يس الآية ٨١

البدن الأول ، ولكن يرد عليهم بأن هذا نسخ ، لأن النفس حلت فى بدن غير بدنها الأول ، وهنا نجد الشيرازى ينكر عليهم ذلك فيقول : « ومن أقر بعود مثل البدن الأول بأجزاء آخر فقد أنكر المعاد حقيقة ، ولزمه إنكار شىء كثير من النصوص القرآنية »[١] .

ويقول الإمام القشيرى : « إن الإنسان هو الروح والجسد لأن الله سخر هذه الجملة بعضها لبعض ، والحشر يكون للجملة ، والثواب والعقاب الجملة والأرواح مخلوقة ، ومن قال بقدمها فهو مخطىء خطأ عظيما ، والأخبار تدل على أنها أعيان لطيفة ويفهم من قوله : وإن الإنسان هو الروح والجسد ، وأن الله سخر الروح والجسد لتخدم كل منهما الأخرى ، ثم الحشر يكون للروح والجسد ، وإنهما مشتركان فى الثواب والعقاب ، دلالة واضحة على أن البعث للروح والجسد معاً[٢] .

وكذلك ذهب الإمام أبا الحارث المحاسبى إلى أن البعث للروح والجسد معاً ، ويستدل على ذلك بما روى عن بن عباس — رضى الله عنهما — عن النبى — ﷺ — أنه قال : « أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر ، وأنا صاحب الشفاعة يوم القيامة ولا فخر ، ولواء الحمد معقود على رأسى يوم القيامة ، وكل الأنبياء تحت لوائى ولا فخر ، وأمتى خير الأمم ، ولا فخر فأول من يحاسب قبل الأمم أمتى ، وكأنى أنظر إلى الأمم ، وأمتى قد قاموا من القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ووجوههم ، وهم يقولون : لا إله إلا الله وصدق المرسلون »[٣] .

---

(١) المبدأ والمعاد للشيرازى ص ٢٧٤

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٤٧ ط صبيح .

(٣) البعث والنشور للإمام أبى عبد الله بن الحارث المحاسبى م خ =

ويستفاد من قوله — ﷺ — أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وقوله وكأنى أنظر إلى الأمم وأمتى قد قاموا من القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم ووجوههم أن البعث للروح والجسد معا. وهذا ماجاء به الكتاب والسنة.

أولا : القرآن والبعث الجسمانى والروحانى :

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أنه عندما يتحدث عن قضية البعث فهو حديث اليقين المطلق والجزم القاطع الذى لاشك فى وقوعه باعتباره حقيقة مقررة فى علم الله تعالى ، إن الله تعالى يبعث الأجساد بعينها ويعيد إليها الأرواح بحيث تكون إعادة الإنسان فى الحياة الآخرة بروحه وجسمه معا ولا يمنع حدوث هذا كون الجسم قد تحول بعد الموت إلى تراب وتناثر فى أجزاء الأرض لأن الذى يعيده هو الله الذى بدأه من العدم وهو سبحانه وتعالى قادر كامل القدرة وعالم بكل شىء يجمع كل ذرات الجسد يوم البعث ويضفى عليها لباس الحياة مرة أخرى .

وبذلك جاءت آيات القرآن الكريم بخصوص هذا الشأن وهى كثيرة ومتعددة تثبت فى وضوح تام لا لبس فيه ولاغموض ولايحتمل التأويل بأن الله سبحانه وتعالى بقدرته المطلقة وشمول علمه يعيد جسم الإنسان بعينه كما كان أولا .

فالجسم الثانى المعاد هوالجسم الأول بعينه جسما وروحا لامثله وذلك

ومصور تصويراً شمسياً بدار الكتب المصرية وبجامعة الدول العربية ص ١ .

وذلك بصورة لاتقبل الشك أو الريب وإلا لزم إن المثاب أو المعذب غير الجسم الذى أطاع وعصى وهو باطل بالإجماع وذلك عن عدم لأن الله يعيده كما أوجده أولا « كما بدءكم تعودون »، وذلك ثابت بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة فى الآيات القرآنية التى تثبت وتدل على ذلك .

وقوله تعالى : « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »[1] .

روى فى تفسير هذه الآية : « إن هذا خطاب للأرواح بأن ترجع إلى أجسادها — إلى ربك — أى إلى صاحبك كما تقول رب الغلام أى صاحب الغلام — فأدخلى فى عبادى أى فى أجسادهم من مناضرهم ، وهذا يظهر منه إن البعث للروح والجسد معا كما إن قوله : « وادخلى جنتى » يؤيد كون الخطاب عند البعث وليس عند الموت كما يرى بعضهم »[2] .

وقال تعالى : « أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقا جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً »[3] .

وقال جل شأنه : « ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون »[4] .

---

(١) سورة الفجر الآيات ٢٧ ، ٣٠ .

(٢) تفسير أبو السعود ٥/٢٦٣/٣٦٤ التذكرة للقرض ١٨١ .

(٣) سوره الإسراء الآيات ٤٩ ، ٥١ (٤) سورة يس الآية ٥١

وقال تعالى : « أيحسب الإنسان إن لن نجمع عظامه بلا قادرين على أن نسوي بنانه »[١] .

وقال الله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده »[٢] .

وقال جل شأنه : « والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا »[٣] .

وأكثر آى القرآن فى البعث تنص على إعادة الأنفس إلى قوالب الأجسام ولا مراء فى ذلك ومن امتنع عنه شك فى صدق الرسول أو كفر به عمداً[٤] . وقال تعالى : « إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور »[٥] . وفى وصف نعيم أهل الجنة . قال تعالى : « ولحم طير مما يشتهون وحور عين »[٦] . وقال تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ، لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »[٧] . ففى قوله : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ، يتحدث القرآن فيها عن النفس وكأنها ذات مستقلة متجهة إلى موقف الحساب يوم فصل القضاء وفى الآية الثانية خطاب للإنسان بأنه إنسان مكتمل القوى والحواس يسمع ويرى .

---

(١) سورة القيامة الآيات ٣ ، ٤ .
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤ .
(٣) سورة نوح الآيات ١٧ ، ١٨
(٤) معراج السالكين للغزالى ١٥٨ .
(٥) سورة العاديات ٩ ، ١٠ .
(٦) سورة الواقعة الآيات ٢١ ، ٢٢ .
(٧) سورة ق الآيات ٢١ ، ٢٢ .

قال تعالى : « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون »[١] .

فلو لم يكن المعاد من الإنسان هى الأجزاء التى كانت حال حياته فى الدنيا لما قال تعالى : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »[٢] .

فهذه الجوارح كانت مباشرة للأعمال ، فلو لم تكن مباشرة وحاضرة للأعمال لقال من شهدت عليه كيف تشهدون على أمر لم تحضر به ؟ . لكنه لم يقل شيئاً من هذا ، بل قال لم شهدتم علينا ؟

وقد علق الشهرستانى على تلك الآية فقال لو كانت الأعضاء التى ستشهد على الإنسان غير أعضائه لكانت شهادتهم زورا[٣] .

وهذا مايقتضيه قانون العدالة الإلهية أن البعث يكون للروح والجسد كليهما لأن الإنسان عندما جاء بحسنة فى الدنيا فقد جاء بها بالروح والجسد معا وعندما ارتكب معصية فى الدنيا فقد ارتكبها بالجسد والروح معا .

وبناء على هذا فالثواب والعقاب يقع كذلك على الجسد والروح معا وإلا لو كان الثواب والعقاب للروح فقط أو الجسد فقط لا تتحقق العدالة .

---

(١) سورة فصلت الآية ٢١ .
(٢) سورة النور الآية ٢٤ .
(٣) اليواقيت والجواهر ٢ / ١٤١ .

ثانياً : السنة النبوية والبعث :

لقد جاءت الأحاديث النبوية المطهرة تبين فى وضوح تام أن البعث بعد الموت حق وانة يكون للروح والجسد ما وذلك بأحاديث صحيحه متواترة لا تحتمل أى تأويل لما دلت عليه منها :

أولا : أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى رزين العقلى ، قال آتيت رسول الله — ﷺ — فقلت يارسول الله كيف يحى الله الموتى قال : أما مررت بأرض من أرضك مجدبة ثم مررت بها مخصبه قال نعم قال كذلك النشور ، وفى رواية أخرى قال كذلك يحى الله الموتى[١] ، ويفهم من هذا الحديث أن إحياء الموتى الذين صاروا ترابا مثل الوادى المجدب الذى انعدمت فيه الحياة فظل على ذلك فترة زمنية طويلة ثم دبت فيه الحياة مرة أخرى واصبح يهتز خصرا فكذلك يكون بعث الأجساد بعدما أصبحت رميما ، وبهذا التشبيه أعطى الرسول — ﷺ — للسائل صورة واضحة ومثال حى مشاهد فى الحياة كيف يحى الله الموتى .

ثانياً : ومما يدل دلالته صريحة على أن البعث يكون للروح والجسد معا وذلك بأسلوب واضح لا لبس فيه ولا غموض .

ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنه

(١) مسند الإمام أحمد ٤/١١ ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة ١/٢٩٠ باب ١٥٠ حديث رقم ٩٣٩ عن أبى رزين العقلى ثم ذكره بنفس رواية الإمام أحمد فى المسند

قال — : قال رسول الله — ﷺ — تحشرون حفاة عراة غرلا[١] ثم قرأ « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين » فأول من يكس إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصحابى ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابى فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »[٢] .

(١) معنى الغرل بضم الغين المعجمة وإسكان الراء معناه : غير مختونين جمع أغزل وهو الذى يختن وبقيت معه غرلته وهى قلفته ، وهى الجلدة التى تقطع فى الختان — انظر صحيح مسلم بشرح النووى جزء ١٧ / ٢٢٧

(٢) البخارى ٦/٥٩١ ك الأنبياء ب قوله تعالى وأذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ط دار الكتب العلمية بيروت — لبنان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، ٨ / ٣٦٣ ك التفسير « تفسير سورة المائدة » باب قوله تعالى وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ، عن عباس رضى الله عنهما قال خطب رسول الله ﷺ ، فقال يا أيها الناس أنكم محشرون إلى الله حفاة عراة غرلا ثم ذكر الحديث كما فى حيث الأنبياء .

وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ٤/٢١٩٤ - ٢١٩٥ كتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة عن ابن عباس رضى الله عنهما بنفس رواية البخارى التى فى التفسير وفى الباب عن عائشة رضى الله عنهما بلفظ يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى البعض قال ﷺ ياعائشة الأمر اشد إن ينظر بعضهم إلى بعض وانظر أحاديث الباب .

وفي رواية أخرى « سألت السيدة عائشة رضى الله عنها رسول الله — ﷺ — : « كيف يحشر الرجال ، قال « حفاة عراة » ثم قالت ، كيف يحشر النساء « قال » حفاة عراة » قالت : وأسوتاه من يوم القيامة قال وعن أى ذلك تسألين أنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون ، قالت أية أية يانبى الله ؟ قال : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنية »[١] .

والذى يفهم من هذا الحديث أن الله تعالى يبعث الناس ويحشرهم يوم القيامة بجميع أجزائهم الأصلية حتى الغرلة وهى الجزء الذى يقطع فى الختان من الذكر فيعيده الله تعالى إلى جسد صاحبه يوم القيامة .

= وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه ٤/ ٦١٥ — ٦١٦ كتاب صفة القيامة باب ما جاء فى الحشر عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غزلا كما خلقوا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا أنا كنا فاعلين إلى آخر رواية البخارى وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

وأخرجه الإمام النسائى فى سنة ٤/ ١١٤ — ١١٥ كتاب الجنائز باب البعث عن ابن عباس رضى الله عنهما بنفس رواية البخارى ، وفى الباب عن أبى هريرة رضى الله عنه بلفظ قال قال رسول الله ﷺ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين راهبين اثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتثبت معهم حيث باتوا تصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا .

(١) سورة عبس الآية ٣٧

وقد يتعارض هذا الحديث السابق مع أحاديث أخرى تثبت أن الناس يبعثون بثيابهم التى ماتوا بها فقد ورد عن الرسول — ﷺ — أنه قال : « أن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها »[١] .

والواقع أنه لا تعارض حيث يمكن الجمع بينهم بأنهم يبعثون من قبورهم بالثياب التى دفنوا فيها ثم تتناثر هذه الثياب عنهم عند ابتداء البعث فيحشرون عراة وقد يراد بالثياب الأعمال الخالصة لقوله تعالى : « ولباس التقوى ذلك خير »[٢] ، وقول الرسول — ﷺ — يبعث كل عبد على ما مات عليه ثم قال الله تعالى : « ولقد جئتمونا فرادا كما خلقناكم أول مرة » أى على الهيئة التى ولدتم عليها .

ثالثا : عن عبد الله بن مسعود عن النبى — ﷺ — قال : « يجىء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول يارب هذا قتلنى فيقول الله له لم قتلته فيقول قتلته لتكون العزة لك فيقول إنها لى ويجىء الرجل آخذ بيد الرجل فيقول إن هذا قتلنى فيقول الله له لم قتلته فيقول لتكون العزة لفلان فيقول إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه » .

وفى الباب عن ابن عباس قال وإنى له التوبة سمعت نبيكم — ﷺ — يقول : « يجىء متعلقا بالقاتل تشجب أوداجه دما فيقول أى رب سل هذا فيم قتلنى ثم قال والله لقد أنزلها الله ثم ما نسخها »[٣] .

---

(١) الترغيب والترهيب ٤/ ٣٧٣ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٦ .

(٣) انظر النسائى فى سنة ٧/ ٨٤ - ٨٥ كتاب التحريم باب تعظيم الدم ، وأخرجه ابن ماجه فى سنة ٢/ ٨٧٤ كتاب الديات باب هل لقاتل =

والذى يستفاد من هذا الحديث أن المقتول يأتى يوم القيامة وقد تعلق رأسه بيده كما يأخذ بتلابيب قاتله باليد الأخرى ، يتقاطر الدم من أوداج المقتول أمام قاتله ، وفى هذا الحديث صور متعددة لأمور حسية . منها : الإمساك بالرأس ، والآخذ بالتلابيب وفيها أوداج المقتول تتقاطر منها الدماء ، وكل هـذه الأحوال صور واضحة للجسد إذا كان حيا وما دامت الحياة لا تكون إلا بالروح إذن فالبعث لهما معا .

رابعا : عن ابن عمر أن رسول الله — ﷺ — « خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة »(١) .

= مؤمن توبة بلفظ يجىء القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه يقول : رب سل هذا لم قتلنى أو الله لقد أنزلها الله عز وجل على نبيكم ثم ما نسخها بعد ما أنزلها ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٠ / ١١٩ حديث رقم ١٠٠٧٥ عن عبد الله بن مسعود بنفس رواية النسائى وقال محققه إسناده حسن .

(١) وأخرجه ابن ماجه فى سننه ١ / ٣٨ كتاب المقدمة باب فضل عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٦٨ كتاب معرفة الصحابة باب فضيلة الشيخين وسكت عنه الحاكم وضعفه الذهبى ، وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٥٣ كتاب الفضائل باب فيما ورد من الفضل لأبى بكر وعمر وغيرهما من الخلفاء الأربعة ، عن أبى هريرة وعزاه الهيثمى إلى الطبرانى فى الأوسط وفيه خالد بن يزيد العمرى وهو كذاب ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الأوسط ٨ / ١٩٦ باب موسى ابن جمهور حديث رقم ٨٢٥٨ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وأخرجه ابن أبى =

خامس : ومما يؤكد أن البعث للروح والجسد معا ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما « أن رجلا وقصته بعيره ونحن مع النبى — ﷺ — وهو محرم فقال النبى — ﷺ — اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبين ولا تمسوه طيباً ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً »(١) .

ويستفاد من قول النبى — ﷺ — فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا أى يبعثه الله تعالى على الهيئة التى مات عليها وقت إحرامه .

وهذه الأحاديث فى غاية الوضوح والبيان ولا تحتاج إلى تأويل فى دلالتها على أن البعث للروح والجسد معا ، وهناك أحاديث كثيرة تثبت البعث بعد الموت وأنه حق وأن الله تبارك وتعالى يبعث الإنسان ويحيه

= عاصم فى كتابه السنة ٢/ ٦١٦ كتاب الفضائل باب فى جماع فضائل أبى بكر وعمر رضى عنهما

(١) أخرج البخارى فى صحيحه ٣ / ١٧٧ كتاب الجنائز باب كيف يكفن المحرم ص ١٧٦ كتاب الجنائز باب الحنوط للميت عن ابن عباس بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ يعرفه إذ وقع من على راحلته فأقصعته أو قال فأقعصته فقال رسول الله ﷺ اغسلوا بماء وسدر وكفنوه فى ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبسا ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢ / ٨٦٦ - ٨٦٧ كتاب الحج باب مايفعل بالمحرم إذا مات عن ابن عباس بنفس رواية البخارى وانظر أحاديث الباب ، وأخرجه أبو داود فى سننه ٣ / ٢١٦ - ٢١٧ كتاب الجنائز باب المحرم يموت كيف يصنع به عن ابن عباس رضى الله عنهما ثم ذكر روايات البخارى ، وأخرجه ابن ماجه فى سننه ٢ / ١٠٣ كتاب المناسك باب المحرم يموت عن ابن عباس رضى الله عنهما لنفس رواية البخارى .

مرة أخرى يوم الحساب وما على الإنسان إلا أن يدرك تمام الإدراك أن الله تعالى قادر على جميع الممكنات وعالم بجميع المعلومات ، وذلك عندما يتفكر فى مخلوقات الله تعالى وما تشتمل عليه من عجائب، وغرائب تقف أمامها أساطين المفكرين مندهشين عاجزين عن إدراك إبداعات الخالق سبحانه وتعالى .

وبعد أن أثبت البعث بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية فلم يبق مجال لإنكار البعث فإنه حق وصدق وواقع فعلا .

المبحث السابع

المنكرين للبعث والرد عليهم

لا شك أن المذاهب الإلحادية والفلسفات المادية التى تغرق موجاتها الملايين من البشر فى ظلمات الأوهام والحيرة والشكوك .

لا تحفل كثيراً بيوم البعث ولا تكترث لمجيئه والكثير منهم يعتقدون أو يظنون أن البعث أمر مستحيل أو ما هو إلا أسطورة أو خرافة فهم يعيشون فى جهالات جهلا وضالات عمياً لا يحيون إلا ليومهم هذا ولا يرون إلا حاضرهم ولا يفكرون إلا فى غرائزهم ورغباتهم أما الإيمان بالله تعالى وبالبعث والنشور فهم عن هذا غافلون أو معرضون لأنهم يظنون أن البعث أمر غير ممكن الوقوع وأنه إذا مات الإنسان تحول إلى عدم وعندما يتحول الإنسان إلى عدم فمحال أن يعود مرة أخرى لأن الموت هو نهاية المطاف فى نظر الفلاسفة الماديون قديماً وحديثاً والطبيعيين المحدثين لأنهم لا يعترفون إلا بالمادة فقط منها ينشأ كل شىء وإليها يرجع كل شىء وهى أزلية ، وعلى هذا يعتقدون أنه ليس هناك حياة بعد الموت كل شىء فى الوجود مادة .

وقد ذكر الشيرازى مقالتهم فقال : إن من الأوهام العامية وهم من يذهب إلى استحالة حشر النفوس الأحياء وامتناع أن يتحقق شىء منها فى المعاد ، وهم الملاحدة والدهريين وجماعة من الطبيعيين والأطباء

الذين اعتمد عليهم فى الملك والشريعة ولا اعتداد بهم فى العقل والحكمة زعماً منهم أن الإنسان ليس إلا هذا الهيكل المحسوس حامل الكيفية المزاجية وما يتبعها من القوة والأعراض وأن جميعها يفنى بالموت وبنعدم بزوال الحياة ولا يبقى إلا المواد العنصرية المتفرقة فالإنسان كسائر الحيوانات والنباتات إذا مات فات وسعادته وشقاوته منحصرة فيما له بحسب اللذات والآلام الحسية الدنيوية[1] .

ويتجلى هذا الإنكار لأمر البعث فيما عرضه القرآن الكريم من دعوى على لسان المنكرين للبعث فقال تعالى :

« وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين »[2] .

ويقول : « أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد »[3] .

ويقول : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت »[4]

ويقول : « أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون »[5] .

ويقول : « قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون »[6] .

ويقول : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا »[7] .

ويقول : أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديداً »[8] .

---

(١) انظر المبدأ والمعاد / صدر الدين الشيرازى ص ٢٧٢

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٩ (٣) سورة ق الآية ٣

(٤) « النحيل الآية ٣٨ (٥) « المؤمنون الآية ٣٥

(٦) « المؤمنون الآية ٨٢ (٧) « التغابن الآية ٧

(٨) « الإسراء الآية ٤٩

ونلاحظ مدلول هذه الآيات فى تصور دعوى المنكرين للبعث بعد الموت ووجود حياة أخرى يحاسب فيها الإنسان على ما قدمت يداه نفس مدلول الفكر والمنطق الذى أسس عليه المنكرون للبعث من الفلاسفة والملاحدة وأصحاب المذاهب المادية انطلاقا من عقيدتهم بأن من عدم لا يعود ولا يدركون من الكون إلا الجانب المحسوس .

كما نلاحظ أن المنكرين للبعث أو الشاكين فى أمره يرجع ذلك فى أذهانهم إلى الأمور الآتية :

أولا : كون أمر البعث لا تدعوا إليه حاجة الناس وليس وراءه مصلحة ترجى .

ثانياً : ومن المنكرين للبعث من لم يذكر دليلا ولا شبهة وا كتفى باستبعاده واستعظام أمره وادعى الضرورة وهم الأكثرون وهؤلاء هم الذين أخبر الله حكاية عنهم فى كثير من الآيات بلفظ الاستبعاد كما قال تعالى : « وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد »[1] لأنهم قد ألفوا أن يروا أجسام الأموات تتفرق وتتحلل وتفسد وتفنى فى الأرض فلا تكاد عقولهم تسلم فى سهولة أمر عودتها وصيرورتها جسما حيا يسعى ويدرك .

ثالثاً : مخالفته لما ألف من السنن الطبيعية حيث لم يعهد الاحياء أن ميتا بعث من رمه وعادت إليه الحياة مرة أخرى[2] .

---

(١) سورة السجدة الآية ١٠

(٢) انظر روح الدين الإسلامى تحقيق عبد الفتاح ص ١٢١ ، ١٢٢

ومعنى هذا أن منكرى البعث أصناف :

صنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحي والدهر المفنى كما حكى القرآن عنهم « قالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر »[١] .

وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق والابداع وأنكروا البعث والاعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن فى مثل قوله تعالى : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحي العظام وهى رميم »[٢ ، ٣] .

والمستقرأ لآيات القرآن الكريم يلاحظ أنه كلما أمعن المنكرين لأمر البعث أمعن القرآن الكريم فى تأكيده بأنه أمر واقع لا محالة بأساليب متعددة ودلائل واضحة لا لبس فيها ولا غموض .

بل بعد أن عرض القرآن الكريم هذه الدعوى التى تشبث بها المنكرون للبعث رد على منكرى البعث فقال الله تعالى للذين يزعمون أنه أمر لا تدعو الحاجة إليه وليس من ورائه حكمة ترجى بقوله : « ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى »[٤] ، وقال تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون »[٥] .

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٤

(٢) سورة يس ٧٨

[٣] انظر الملل والنحل للشهرستانى ٢/٣٣٥ ، ٣٣٧ ط مصطفى الحلبى

[٤] سورة النجم الآية ٣١

[٥] سورة المؤمنون الآية ١١٥

وقال للذين ينكرون البعث أن إنكارهم للبعث لا يقوم على دليل أو برهان وإنما يقوم على الظن والزعم والشك والتردد دون الجزم واليقين .

فقال تعالى : « وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون »[١] .

وقال تعالى : « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا »[٢] .

وقال تعالى : « وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون »[٣] .

فالبعث كما بين القرآن الكريم ليس أمراً مستبعداً لأن الله القادر لايعجزه شيء وليس على قدرته شيء مستبعد فهو الذى خلق الكون والإنسان وأنشأ الكل من العدم وهذا ما تشير إليه كثير من آيات القرآن الكريم حيث بدأ أولا بإبطال استبعادهم بقوله : « ونسى خلقه » أى ونسى أنا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الأجزاء ، ثم جعلنا لهم النواصى إلى الأقدام أعضاء مختلفة الصور والقوام وما اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الأجرام وهى النطق والعقل اللذين بهما استحقوا الاكرام .

فإن كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم يكن محل الحياة أصلا ويستبعدون إعادة النطق

---

[١] سورة الجاثية الآية ٢٤ [٢] سورة ص الاية ٢٧

[٣] سورة الجاثية الايات ٣٢ ، ٣٣

والعقل إلى محل كان فيه ثم إن استبعادهم كان من جهة ما فى المعاد من التفتت والتفرق حيث قالوا : « من يحي العظام وهى رميم »[1] ، اختاروا العظم للذكر لأنه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفوه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلى والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما فى المعيد من القدرة والعلم فقال : « وضرب لنا مثلا »[2] أى جعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجيب وبداه الغريب[3] .

وأما المنكرون للبعث على أنه أمر مخالف لما ألفه الناس فقد رد عليهم بدليل حى مشاهد فقال تعالى : « ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحينا به بلدة ميتا كذلك الخروج »[4] .

فكما أن النبات والأشجار تنبت وتنمو حينما ينزل عليها المطر فيتعذرى بذلك النبات كذلك يكون البعث وخروج الناس أحياء بعد موتهم .

وفى هذا الإطار عرض القرآن الكريم دعوى المنكرين لأمر البعث ورد عليهم وهى نفس التعاليل التى يثيرها الماديون والملحدون وغيرهم فى كل زمان ومكان إلى أن يقوم الناس لرب العالمين .

---

(١) سورة يس الاية ١٠
(٢) سورة يس الآية ١٠
(٣) تفسير الرازى ٢٣ ١٨١/١٨٢ مكتبة الإيمان
(٤) سورة (ق) الآيات ٩ — ١١

أحياء الله تعالى الموتى :

ثم إن المستقرأ لآيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد فند دعوا المنكرين للبعث من جميع جوانبها ورد عليها بصور وأشكال متعددة لا تدع مجالا للشك والريب وتقضى على الظن والتردد ولا يملك حيالها الإنسان إلا الإقرار بالبعث .

فقد تحقق إحياء الله تعالى الموتى بالفعل فى هذه الحياة الدنيا وذلك فى الأزمان الماضية وعليه فلا يبقى للإنكار والاستبعاد فى عودة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى بعد موته مجال ولا يجادل فيه إلا كل معاند مكابر مطموس البصيرة لم يخرج عن ربقة الجهل والتقليد ، فهذه معجزة كبرى أجراها الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام استجابة لدعوته ، قال تعالى : « وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم »[1] .

وخلاصة هذه القصة : أن العلماء اختلفوا فى سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ، فقال كثير منهم أن سبب مسألته ذلك ربه أنه رأى دابة تعسفتها السباع والطير فسأل ربه أن يريه كيفية أحيائه إياها مع تفرق لحومها فى بطون طير الهواء وسباع الأرض ليرى ذلك عيانا فيزداد يقينا برؤيته فأراه الله ذلك .

وقال آخرون بل كان سبب مسألته ربه ذلك المناظرة والمحاجة التى جرت بينه وبين القوم فى ذلك[2] .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٠ (٢) تفسير الطبرى ٣/٦٩ — ٧٠

فقد أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير قيل هى الديك والطاووس والحمام والغراب فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن ثم يجزئهن على أربعة أجبل فذكر لنا أنه شكل على أجنحتهن وأمسك برؤوسهن بيده ، ثم قال : تعالين بأذن الله فتطايرت تلك الأجزاء وطار الدم إلى الدم والريش إلى الريش حتى التأمت مثل ما كانت أولا وبقيت بلا رؤوس وذلك بعين الخليـــل إبراهيم عليه السلام ثم كرر النداء فجاءته سعيا على أرجلهن ويلقى إلى كل طير برأسه .

وكان إبراهيم إذا أشار إلى واحد منها بغير رأسه تباعد الطائر ، وإذا أشار إليه برأسه قرب حتى لقى كل طائر رأسه وطارت بإذن الله تعالى وهذا مثل أتاه الله إبراهيم ، يقول كما بعث هـذه الأطيار من هـذه الأجبل الأربعة ، كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها[1] .

ثانيا : مرة أخرى أحيا الله تعالى عزير النبى لقوله تعالى : « أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شىء قدير »[2] .

وخلاصة هذه القصة أن الله تعالى يقول ألم تر إلى الذى مر على قرية

(١) تفسير الطبرى ٣/٨٢،٨٣ ، والقرطبى ٢/١١٠٨،١١٠٩

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩

هى بيت المقدس وهى خاوية على عروشها فقد سقطت حيطانها على سقوفها بعد أن خربها — بختنصر البابلى وأهلك أهلها قال ابن عباس : إن بختنصر غزا بنى إسرائيل فسبى منهم أناساً كثيرة فجاء بهم وفيهم عزير ابن شرخيا وكان من علماء بنى إسرائيل فجاء بهم إلى بابل فخرج ذات يوم فى حاجة له إلى دير هرقل على شاطىء الدجلة فنزل تحت ظل شجرة وهو على حمار له فربط الحمار تحت ظل الشجرة ثم طاف بالقرية فلم يرى بها ساكنا وهى خاوية على عروشها فقال أنى يحيى هذه البلدة بعد موتها[1] .

فأماته الله مائة عام ثم بعثه مرة أخرى وقال له كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم لأن الله أماته أول النهار وبعثه آخر النهار ، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم وكان الله قد أعاد الحياة والعمران إلى القرية ورجع إليها ساكنوها قال : الله له بل لبثت مائة عام ، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتغير وانظر إلى حمارك كيف نحييه وأنت تنظر إليه ، ولنجعلك آية ودليلا للناس على قدرتنا على الإحياء ، وانظر إلى عظام الحمار المتفرقة حولك كيف نجمعها ونرفعها ونضع كل عظم فى موضعه حتى يصير حماراً من عظام لا لحم عليها ثم كيف نكسوها لحماً وعصباً وجلداً وكيف نعيد إليه الحياة مرة ثانية فلما تبين له ذلك قال أعلم أن الله على كل شىء قدير ، أو أعلم بصفة الأمر من الله تعالى :

وروى عن ابن عباس أنه قال : لما أحيا الله عزير وركب حماره فأتى محلته فأنكر الناس وأنكروه فوجد فى منزله عجوزاً عمياء فقال لها أهذا منزل عزير ؟ .

فقالت : نعم ثم بكت وقالت فارقنا عزير منذ كذا سنة .

(١) تفسير القرطبى ١/١٠٩٦ وما بعدها .

قال : فأنا عزير .

قالت : إن عزير فقدناه منذ مائة سنة .

قال : فالله أماتنى مائة سنة ثم بعثنى .

قالت : فعزيراً كان مستجاب الدعوة للمريض وصاحب البلاء فيفيق فادع الله يرد على بصرى ، فدعى الله ومسح على عينها بيده فصمتت مكانها كأنها أنشطت من عقال .

قالت : أشهد أنك عزير ثم انطلقت فى ملء بنى إسرائيل وفيهم بن العزير شيخ بن مائة وثمانية وعشرون سنة وبنو بليه شيوخ فقالت ياقوم هذا والله عزير ، فأقبل إليه أبنه مع الناس فقال ابنه كانت لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فنظرها فإذا هو عزير[1] .

ثالثا : ومرة ثالثة أحيا الله الموتى وذلك بإحياء أهل القرية على يد نبى الله حزقيل قال تعالى : « ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون »[2] .

وقصة هؤلاء أنهم قوم من بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء وكان بقرية يقال لها داور ادان فخرجوا منها هاربين فنزلوا واديا فأماتهم الله تعالى : قال ابن عباس : كانوا أربعة آلاف وقيل ستمائة ألف وقيل ثمانية وقيل أنهم كانوا أهل القرية خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتى أرضا

(١) تفسير القرطبى ١/١١٠٢ ، ١١٠٣ ط دار الريان وتفسير القرطبى ١/٤٠ ، ٦٨ دار الغد العربى .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٣ .

ليس بها موت ، فأماتهم الله تعالى فمر بهم نبى من الأنبياء فدعا الله تعالى أن يحييهم فأحياهم[1] .

وذكر ابن كثير فى تفسير لهذه الآية أن غير واحد من السلف ذكر أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة من بنى إسرائيل أصابهم بها وباء شديد فخرجوا فراراً من الموت هاربين إلى البرية فنزلوا واديا فماتوا عن آخرهم فجيزوا إلى حظائر وبنى عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبى من بنى إسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه إلى ذلك وأمره أن يقول أيها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ثم أمره فنادى أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسى لحماً وعصبا وجلداً فكان ذلك وهو يشاهده ثم أمره فنادى أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذى كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون سبحانك لا إله إلا أنت وكان فى أحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسمانى يوم القيامة[2] وسبحان من يقول للشىء كن فيكون .

رابعاً : مرة رابعة أحيا الله تعالى الموتى لرجل من بنى إسرائيل قال تعالى : « فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون »[3] .

عن ابن عباس قال : إن أصحاب بقرة إسرائيل طلبوها أربعون سنة

(١) تفسير القرطبى ٢/١٠٣٨ — ١٠٣٩

(٢) تفسير بن كثير ١/٢٩٨

(٣) سورة البقرة من الآية ٧٣

حتى وجدوها عند رجل فى بقر له وكانت بقرة تعجبه فذبحوها فضربوه يعنى القتيل ببعض منها فقام تشحب أوداجه دماً فقالوا له من قتلك قال قتلنى فلان .

وقال أبو العاليه : أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً من عظامها فيضربوا به القتيل ففعلوا فرجع إليه روحه فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتاً[ ]؛

ولهذا قال تعالى : « إن الله لذو فضل على الناس » أى فيما يريهم من الآية الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدافعة التى تثبت أن الله قادر على إعادة الأموات بلا ريبة .

خامساً : وأحيا الله تعالى بنى أيوب عليه السلام لقوله تعالى: « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وءاتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين »[٢].

فعندما دعا أيوب عليه السلام ربه أن يكشف عنه ضره استجاب الله تعالى وأبد له بكل شىء ذهب له ضعفين رد إليه أهله ومثلهم معهم أى أحياهم بأعيانهم ورد الله إليه مثلهم من نسلهم[٣] .

قال عبد الله بن مسعود كان أهل أيوب قد ماتوا إلا امرأته فأحياهم الله عز وجل فى أقل من طرف البصر وأتاه مثلهم معهم وعن بن عباس أيضاً

---

(١) تفسير بن كثير ١١٢/١
(٢) سورة الأنبياء ٨٣—٨٤
(٣) تفسير الطبرى ٧٩/٧٧/٩

كانوا بنوه قد ماتوا فاحيوا له وولد مثلهم معهم لأنهم ماتوا ابتلاء قبل أجالهم[ ] .

سادساً : وأحيا الله الموتى فى قصة السبعين الذين أخذتهم الصاعقة فماتوا ثم أحياهم .

قال تعالى : « وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة »[٢] ، أى نار من السماء أحرقتهم أوصيحة سماويه خروا لها صاعقين ميتين يوماً وليلة ، « وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » . هكذا أحيا الله تعالى الموتى فى دنيا الناس وبعث فيهم الحياة مرة أخرى وبذلك يعود للإنسان بدنه الترابى الأصلى مرة أخرى.

يضاف إلى ذلك ماقصه علينا القرآن الكريم من تبيان قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ماجاء الصحيحين عن قصة الرجل الذى قال لبنيه أنه إذا مات أن يحرقوه ويدروا نصفه فى البحر ونصفه فى البر .

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عداته عن عبد الملك بن عمر عن قال : قال عقبه بن عمرو لحذيفة رضى الله عنهما ألا تحدثنا ماسمعت من رسول الله ﷺ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مت فاجمعوا لى حطباً كثيراً جزلا ثم أوقدوا ناراً حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فامتحشت فخذوها فذروها فى اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى إليه ، ثم قال له لم فعلت ذلك ؟ قال من خيشتك فغفر الله عزوجل له .

---

(١) تفسير القرطبى ٤٣٦٦/٧
(٢) سورة البقرة الآية ٥٥

وأخرجاه فى الصحيحين بألفاظ منها أنه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فى يوم رائح أى كثير الهواء ففعلوا ذلك فأمر الله تعالى البحر فجمع مافيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له، كن فإذا فإذا هو رجل قائم، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال مخافتك وأنت أعلم فما تلاقاه أن غفر له .

شبه المنكرين لبعث الأجساد والرد عليها :

لم يخل تاريخ البشرية من منكرين للبعث رغم قيام الأدلة العقلية والنقلية على أن بعث الأجساد حق وواقع فعلا ومع ذلك فهم يذكرون .

شبهات ينكرون بها إمكان هذا البعث الجسمانى ولو فحصت طوائف المنكرين للبعث كما عرضها للقرآن الكريم وطوائف المنكرين له فى عصرنا هذا بل فى كل عصر لما وجدت فرقا بين مقالاتهم إلا فى التعبير والأسلوب أما جوهر التفكير فواحد يدور فى إطار الظن والوهم وينأى عن الحق ويبعد عن اليقين (١) .

والمنكرون للبعث الجسمانى طوائف كما سبق أن ذكرنا . —

١ — طائفة تنكر البعث مطلقا جسمانيا أو روحانيا وهؤلاء هم الدهريون والماديون والطبيعيون الذين حكى القرآن قولهم : « وقالوا ما هى إلا حياتنا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » ، حيث إنهم يرون أن الحياة تنتهى بالموت تماما وما ذلك إلا لأنهم قبل ذلك منكرون

(١) قضايا التوحيد . أ . د . على معبد ص ١٩٢ .

لوجود البارى سبحانه وتعالى معتقدين أن الحياة والموت فعل الطبيعة .

ولا فرق بين هؤلاء وبين الماركسيين والوجوديين فى زماننا هذا .

هؤلاء أنكروا وجود كل شىء سوى المادة وهكذا فعل أولئك وهؤلاء وزعموا أن رحلة الحياة والموت هى البداية والنهاية فليس قبلها شىء وليس بعدها شىء وهكذا زعم أولئك (٢) .

والجواب على هؤلاء . أنهم قبل البعث منكرون أو متشككون فى وجود الله تعالى وكمال قدرته وشمول علمه .

فلابد لحديثنا معهم أن يقوم على أساس أن نقيم لهم الدلائل والبراهين على وجود الله تعالى وقدرته وشمول علمه .

وقد رد القرآن الكريم على هؤلاء فى ثبوت البعث ووقوعه وذلك بأدلة متعددة كدليل النشأة الأولى ودليل إحياء الأرض بعد موتها وغير هذا مما سبق عرضه فى المباحث السابقة .

٢ — وذهب طائفة أخرى منهم :

إلى أن امتناع المعدوم ضرورة لايتردد فيه العقل عن الخلوص من شوائب التقليد والتعصب .

(١) المصدر السابق ١٩٣ .

والجواب : كيف وقد قال بجوازه كثير من العقلاء ، وقام عليه البرهان[1] .

الشبهة الثانية :

قالوا : إذا أعيد البدن فإما أن تعاد جميع الأجزاء التى صاحبته فى كل أيام عمره ، وأما أن تعاد الأجزاء التى كانت موجودة وقت الموت فقط وإما أن تعاد الأجزاء كلها . فإن كان المعاد الأجزاء الموجودة وقت الموت فقط ، وجب إعادة الأعمى والمجزوم ، ومقطوع اليد على صورته ، وهذا باطل بالاتفاق .

وإن أعيدت جميع الأجزاء فهذا أيضاً باطل ، لأن الإنسان إذا كان حال إيمانه سمينا ، ثم هزل وكفر ومات ، فإذا أعيد سمينا وعذب لزم وصول العذاب إلى أجزاء كانت موصوفة الإيمان وكذلك العكس ، وهو محال .

والجواب عن هذه الشبهة : قال السعد (والذى ندعيه إن معنى الإعادة أن يوجد ذلك الشىء الذى يعاد بجميع أجزائه وعوارضه بحيث يقطع كل من يراه بأنه هو ذلك الشىء ، كما يقال أعد كلامك ، أى تلك الحروف بتأليفها وهيئاتها ، ولا يضر كون معاداً فى زمان ولا منافسه فى أن هذا نفس الأول أو مثله ، وهذا القدر كافى فى ثبوت الحشر ، ولا يبطل بشىء من الوجوه)[2] .

(١) انظر شرح المقاصد ٢ / ١٥٤ .
(٢) شرح المقاصد ٢ / ١٦٥٨ .

أى أن الذى ندعيه أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية ويعيد الأرواح بها سواء سمى ذلك إعادة المعدوم أم لا[1] .

الشبهة الثالثة :

أن القول بإعادة الأجسام يؤدى ، إما إلى المستحيل وإما إلى عدم حشر جميع الخلائق ، وبيان ذلك أنه لو أكل إنسان إنساناً وصار غذاء له وأجزاء من بدنه ، فتلك الأجزاء المأكولة إما أن تعاد فى بدن الآكل أو فى بدن المأكول ، وأيا ما كان لا يكون أحدهما بعينه معاداً بتمامه ، على أنه لا أولوية جعلها جزءاً من بدن أحدهما دون الآخر ، لاسبيل إلى جعلها جزءاً من كل منهما وأيضا إذا كان الآكل كافراً والمأكول مؤمنا يلزم تنعيم الأجزاء العاصية أو تعذيب الأجزاء المطيعة .

والجواب على تلك الشبهة بردود متعددة منها :

أن الإعادة تكون الأجزاء الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره والأعراض الذاتية ، ووجهه أن فى الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفى المأكول كذلك فإذا أكل إنسان إنسانا صار الأصلى من الجزء المأكول فضليا من أجزاء الآكل والأجزاء الأصلية للآكل هى ما كان له قبل الأكل ، والله بكل خلق عليم ، يعلم الأصلى من الفضلى فيجمع الأجزاء الأصلية للمأكول[2] .

(١) المصدر السابق
(٢) انظر رسالة ابن سينا فى المعاد لوجه ٧٧ ، وشرح المقاصد ٢ / ١٥٧ .

وينفخ فيه روحه ، وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة فى البقاع الممددة فى الأصقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة[1] .

وعلى هذا فلا إشكال لأننا نعنى بالحشر إعادة الأجزاء الأصلية التى من شأنها إن تبقى من أول الفطرة أعنى حال نفخ الروح فيه من غير لزوم فساد ، فإن قيل يجوز إن تصير تلك الأجزاء الغذائية الأصلية فى المأكول الفضلية فى الآكل نطفة وأجزاء أصلية لبدن آخر ، ويعود المحذور . قلنا الفساد إنما هو فى وقوع ذلك لا فى إمكانه فلعل الله — تعالى — يحفظها من إن تصير جزءا لبدن آخر ، فضلا عن أن تصير جزءا أصليا فلا يحتاج إلى إعادة الجمع والتأليف ، بل إنما تعاد إلى الحياة والصور والهيئات ، وقال المعتزلة إنه يجب على الحكيم حفظها عن ذلك ليتمكن من إيصال الجزاء إلى مستحقه[2] .

وحينما قال الزنديق : للإمام جعفر الصادق رضى الله عنه أين للروح بالبعث والبدن قد بلى والأعضاء قد تفرقت فعضو فى بلدة تأكله سباعها وعضو بأخرى تمزقه هوامها ، وعضو قد صار تراباً بنى به من الطين حائط ؟ .

فقال الصادق : الذى أنشأ من غير شىء وصوره على غير مثال كان سبق قادر أن يعيده كما بدأه .

فقال : أوضح لى ذلك .

قال : إن الروح مقيمة فى مكانها ، روح المحسن فى ضياء وفسحة

(١) تفسير الفخر الرازى ١٣ / ١٨٢ .
(٢) شرح المقاصد للسعد ٢ / ١٥٧ .

وروح المسىء فى ضيق وظلمة ، والبدن يصير ترابا ، منه خلق ، وما تقذف به السباع والهوام من أجوافها مما أكلته ومزقته كل ذلك من التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة فى ظلمات الأرض ، ويعلم عدد الأشياء ووزنها وإن تراب الروحانيين بمنزلة الذهب فى التراب .

فإذا كان حين البعث مطرت الأرض مطر النشور فتربو الأرض ثم تمخضوا مخض السقاء فيصير تراب البشر كصير الذهب من التراب إذا غسل بالماء والزبد من اللبن إذا مخض ، فيجتمع تراب كل قالب إلى قالبه فينتقل بإذن الله القادر إلى حيث الروح فتعود الصور بإذن المصور كهيئتها وعليم الروح فيها فإذا قد أستوى لا ينكر من نفسه شيئا[1] .

لكن ما يقال : لو قطعت يد مسلم ثم ارتد ومات على ردته أيبعث بتلك اليد أم لا ؟ فإن قلتم يبعث بها لزم أن يلج النار عضو ، وإن قلتم لا يبعث بها لزم أن تعاد جميع الأجزاء الأصلية ، فالجواب إنه يبعث تام الخلق كامل البدن لأن اليد تابعة للبدن لا حكم لها على الإنفراد فى طاعة ولا معصية .

وملخصه أن العبرة فى السعادة والشقاوة إنما هى بحال الموت لخبر إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة . . الحديث وأحد الأجزاء بانفرادها قبل ذلك فغير منظور إليها فالاعتراض عليه بهذا ذهول عن المراد وما قدمناه من جواز حفظ الله لها من أن تصير جزءاً لبدن

(١) الأحتجاج للطبرى ٢ / ٩٧ / ٩٨ مطبعة النعمان بالنجف الأشرف .

آخر ويصونها عن التفرق هو الحق[1] ، فالأجزاء لاحكم لها وإنما العبرة فى الجزء هو مجموع الهيكل .

وربما يقال أيضا : قد يتولد من أجزاء المأكول نطفة للأكل يخلق منها ولد ، وعلى ذلك تكون أجزاء المأكول قد أوجدت أجزاء أصلية للولد ، واختلطت ويعود الأشكال .

فالجواب على ذلك : بأن هذا مجرد احتمال مرفوض والاحتمالات لا تقوى على رد الثابت بالأدلة ، وهذا لايلزمنا ، وإنما يلزمنا لو وقع بالفعل .

وعلى فرض التسليم بذلك نقول : إن هذا الفرض لايقع ، لأن الله — سبحانه وتعالى — يحفظ الأجزاء الأصلية للمأكول من أن يتكون منها نطفة فيتخلق منها الولد تحقيقا لعدالته سبحانه وتعالى .

---

(١) عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد للنفتازانى ٢ / ق ١١١ .

المبحث الثامن

لماذا البعث وما الحكمة منه

إن العقل البشرى المؤمن بالله تعالى يرى أن البعث ضرورة لابد منها لأن البعث هو الجانب الذى يحقق حكمة الخالق ومعنى الوجود ويعطى الحياة مفهومها لذلك أقضت حكمة الله تعالى أن جعل وراء هذه الحياة الدنيا حياة ثانية بعد فناء الحياة الأولى يرى فيها الإنسان جزاء عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وذلك لما يأتى :

أولا : المجازاة على الأعمال التى اكتسبها الإنسان نتيجة إرادته الاختيارية . قال تعالى : «كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور»[1] .

فكلنا نرى فى هذه الحياة الدنيا أشخاصاً يرتكبون جميع الجرائم ويفعلون جميع الموبقات ولا يعاقبون جزاء أعمالهم فى الدنيا ويفلتون من العقاب الدنيوى .

وآخرون تقع عليهم جميع المظالم من الشرور والآثام من الآخرين دون أن ينالوا حقوقهم ودون أن يقع القصاص الذى يرد الحقوق إلى أصحابها .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٥

وآخرون يضحون بأغلى ما يملكون فى سبيل العقيدة والدين والمبادىء والقيم الأخلاقية الفاضلة دون أن يحصل كل هؤلاء على حقوقهم المسلوبة وتضحياتهم المبذولة، فما قدم بعض بنى آدم التضحيات فى هذه الحياة إلا لإيمانهم بالبعث بعد الموت .

ومن الذى يمنع طغيان النفس البشرية عن غيها ويقهر جبروتها القانون البشرى الذى يفلت منه معظم الظالمين ويتحايلون عليه بشتى الوسائل .

ويضاف إلى ذلك أن الناس متفاوتين تفاوتاً كبيراً فى معايشهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وفى سعادتهم وشقائهم فمنهم الغنى ومنهم الفقير المعدم ومنهم المعدم ومنهم المحسن والمسىء ومنهم الظالم ومنهم المظلوم ومنهم السليم وعنهم المريض ومنهم الشقى ومنهم السعيد إلى غير ذلك من صنوف وألوان التفاوت والاختلاف فهل يستوى المصلح والمفسد أم هل يستوى الظالم والمظلوم وما معنى هذه الحياة وما قيمتها وما الضابط الذى يجعل لها معنى وهدف ؟

فلو أن الناس يموتون عند انقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافياً للكلمة مجاذباً للعدل والرحمة، لذلك ولكل هذه وغيره أثبتت حكمة الله تعالى بالبعث والجزاء .

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عناية الله بخلقه وأنه لم يتركهم سدى دون تقييم لأعمالهم .

قال تعالى : « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل

مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »(١) ، وقال تعالى « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين »(٢) .

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل « يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »[٣] ، هذا فضلا عن أن للبعث حكما كثيرة لا تحصى .

أولا : لاشك أن البعث بعد الموت من أعظم وسائل الصلاح فى حياة الفرد والمجتمع بل فى العالم أجمع فلو أن الناس جميعاً قد استقر فى أذهانهم وقلوبهم وضمائرهم هذه العقيدة وآمنوا بها إيماناً صادقاً لا يعتريه شك ولا ريب لكثر فيهم الخير والحب والصفاء ، وقل بينهم التنازع والاختلاف والبغضاء والشر والفساد ، فلا توجد وسيلة أصلح للفرد من الإيمان بيوم البعث والجزاء .

ثانياً : أن الإيمان بالبعث بعد الموت له أثر عظيم فى تقويم سلوك الإنسان وضبط أهوائه وشهواته ونزعاته وذلك بتوجيه الإنسان الوجهة السليمة وذلك من منطلق الإيمان بالله تعالى الذى رسخ فى القلب بأن الإنسان لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى وإنما هناك دار أخرى للحساب والعقاب يتمثل فيها أمام الله سبحانه تعالى ليحاسبه على ما قدمت يداه وفى هذا باعث على السلوك السوى وحث على بذل المعروف كما أن فيه إيقاظ للوجدان وتنبيه للغافل وتحرير من الظلم .

---

(١) سورة الزلزلة الاية ٢ (٢) سورة النور الاية ٢٥

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه .

ثالثاً : أن الإيمان بعقيدة البعث من أقوى البواعث للإنسان على التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل ، فهى تمنع صاحبها من الانحراف وتعصمه عن الخطأ وتقف حاجزاً بين الإنسان وبين صنوف الأذى والعدوان فضلا عن أنها من أقوى الدوافع لإحسان العمل وإتقانه لأن الإنسان على أساسه سيحاسب أو يعاقب وفى هذا حافز على إحسان العمل، وهذا ما ينبغى أن يحرص عليه كل ذى عقل سليم يدرك قدر الباقيات الصالحات ووزنها فى حياة أبدية لا موت فيها ولا فناء .

رابعاً : لا شك أن الإيمان بالبعث فيه راحة للنفس من الشك والحيرة التى تبثها المذاهب الإلحادية التى تغرق الملايين من البشر فى بحار الشكوك وظلمات الحيرة والإفراط فى السير وراء الفلسفات المادية الرافضة لأنوار الحق والعدل والخير لأن الإنسان إذا آمن بالبعث بعد الموت هدأت نفسه واستنارت بصيرته وزالت عن نفسه غيوم الضلال وانقشعت عن عقله ظلمات الجهل وبزغ نور الحق الهادى إلى الصراط المستقيم فيبنى حياته على الحق فلا يعمل إلا حقا ولا ينطق إلا صدقا ومعظم المشكلات التى يعانى منها الإنسان المعاصر هى البعد عن الحق المتمثل فى عدم الاعتقاد بالبعث وما يترتب عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين فما ملئت الأرض ظلما وفسادا وعدوانا إلا بسبب إنكار البعث بعد الموت وعدم الإيمان بحياة أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته .

فإنكار البعث أو الشك فى أمره هو منبع الشرور وأساس الفساد إذ من شأنه أن يطلق النفس من قيد التأثم ويدفعها إلى أنواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسهل لها الغدر والخيانة ويحملها على فعل كل خبيثة والوقوع فى كل رذيلة وينأى بالعقول عن كسب الكمال البشرى

ويفقدها الرغبة فى كشف حقائق وتعرف أسرار الطبيعة »[١] .

لذلك فقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان بالبعث وارتكاب الرذائل والفواحش كما قال تعالى : « ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم »[٢].

وربط أيضاً بين الفضائل والإيمان به فقال تعالى : « يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا »[٣].

خامساً : هذا فضلا عن أن الإيمان بالبعث هو أقوى الدوافع للانسان لطاعة الله تعالى واجتناب نواهيه والتمسك بشرائع الدين والاستجابة لأحكامه وإقامة حدود الله تعالى والاستمساك بالعروة الوثقى وعدم التهاون فى تنفيذ ما أمر الله تعالى من أحكام وتعاليم .

ولذلك من الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى ربط فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم بين أحكام الشريعة والبعث بعد الموت وربط بينهما برباط وثيق وارتباط أصيل .

وعلى هذا الأساس تكون عقيدة البعث من أعظم الأسباب التى تحقق للانسان السعادة فى هذه الحياة الدنيا والأمن والاستقرار لأنه دائما يحذر الشرور والآثام كما يبعد عن الأوزار والسيئات ولا يقدم

---

(١) الرد على الدهريين ص ٣٩ (٢) سورة المطففين الآيات ١ـ٥
(٣) سورة الإنسان الآيات ٧ـ١٠

إلا على فعل كل ما هو صالح وجميل ومتى كان ذلك ، كذلك تحقق للانسان الحياة الكريمة بكل ما تحمله من معانى .

من أجل ذلك لا أرى « فى الوسائل العلمية والأدبية وسيلة تؤدى إلى صلاح الإنسان فى حياته الاجتماعية أنفع ولا أنجح ولا أروع من إيمانه بيوم الجزاء المترتب على إيمانه بالبعث[١] .

لذلك كان الإيمان بالبعث بعد الموت أحكم مرشد وأهدى قائد للإنسان إلى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة وأرشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لاعماد لها إلا بمعرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم وأنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم ، إذ لاعقد لها إلا مراعاة الصدق والخشوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات[٢] .

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الإيمان بالبعث بعد الموت يحظى بمكانة عظيمة فى الشريعة الإسلامية التى يتوقف عليها إقامة المجتمع الفاضل الذى يقوم على أساس أن الله سوف يحاسب كل إنسان على ما كسب فى هذه الحياة إن خيراً فخير وإن شراً فشر وفى هذا من الدافع إلى أن يأخذ كل فرد من أفراد المجتمع بيد أخيه حتى يتحقق المنهج الأمثل فى إصلاح الفرد والمجتمع .

---

(١) معروف الرصافى د / بدوى طبانه ص ٨٩ الطبعة الثانية .

(٢) انظر الرد على الدهريين الشيخ / جمال الدين الأفغانى ص ٣١ .